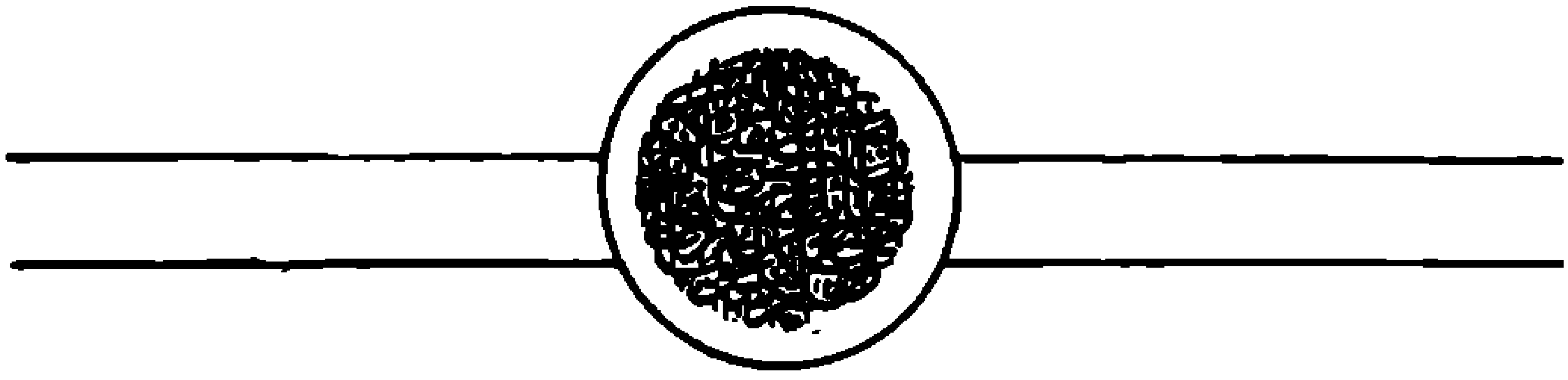


# الإمام إدريس
## مؤسس الدولة المغربية



مطبوعات
الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي
الرباط



# الإمام إدريس

## مؤسس الدولة المغربية


علال الفاسي

عبد الله كنون

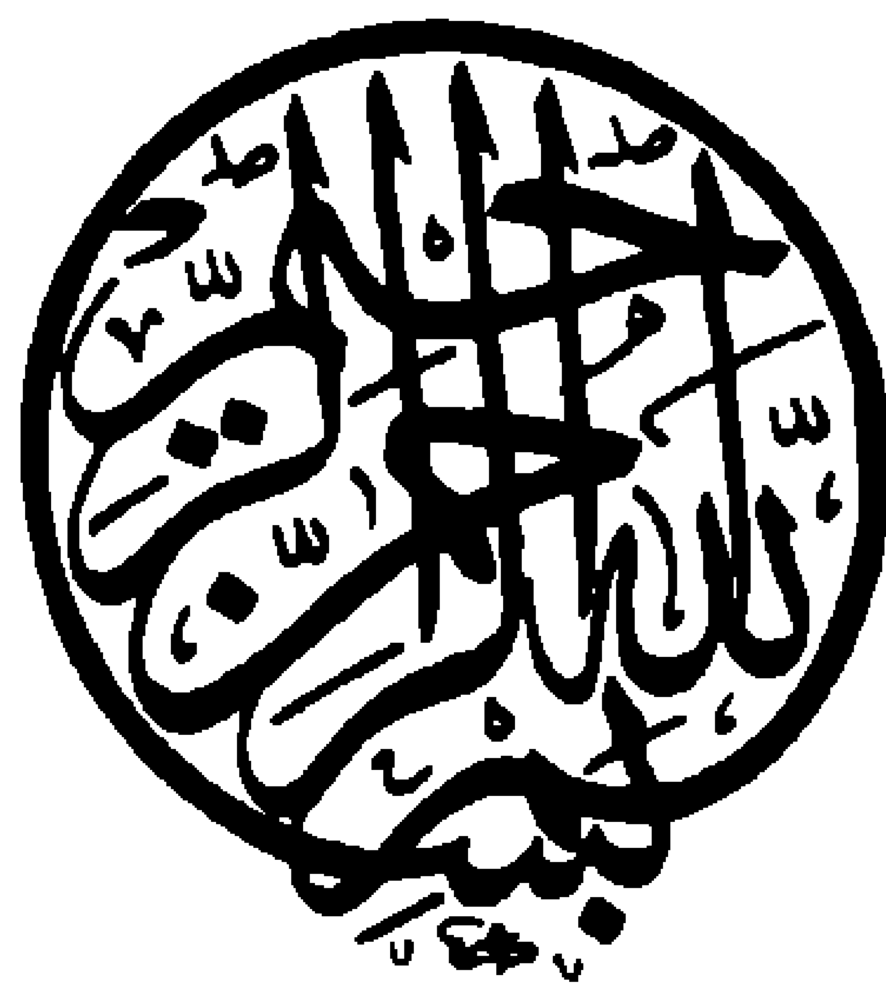
عبد الهادي التازي

محمد المنوني



سلسلة في سبيل وعي إسلامي

(العدد الواحد والثلاثون)



رقم الايداع القانوني 1988/543م

**شركــة بابــل**

*للطباعة والنشر والتوزيع*

# هذا الكتاب

بقلـــم

## الاستاذ عبد الرحيم بن سلامة

رئيس الجميعة المغربية للتضامن الاسلامي

فكرة هذا الكتاب جاءت وليدة عدة عوامل جعلت المكتب التنفيذي للجمعية المغربية للتضامن الاسلامي يسارع إلى نشره نظرا للأسباب الآتية

**أولا** الاهتمام البالغ الذي كان يوليه المرحوم علال الفاسي — أحد مؤسسي الجمعية — للوثيقة التي عثر عليها والتي تكشف العديد من الحقائق التاريخية، التي تتعلق بمرحلة تأسيس الدولة المغربية على يد الفاتح الأعظم المولى ادريس الأول طيب الله ثراه، وما اضافه السادة الاساتذة المساهمون في موضوعات الكتاب من معلومات، هي في الحقيقة تتمة للبحث الذي بدأه استاذنا الراحل

**ثانيا** مدى الاستعدادات الهامة التي يهيء لها بمناسبة الاحتفالات بالذكرى المائتين بعد الألف لتأسيس الدولة الاسلامية بالمغرب، وما ينبغي أن يعطى لهذه المناسبة العظيمة من اهتمام خاص سواء على الصعيد الرسمي، أو من قبل الهيآت والمؤسسات الثقافية، والعلمية، وخاصة تلك التي تهتم بتاريخ المغرب المشرق .

لذا يسعد لجنة النشر والاعلام بالجمعية أن تكون من السباقين إلى المساهمة في احتفالات المغرب بمناسبة تأسيس دولته الاسلامية، آملة أن تكون بنشرها لهذا الكتاب، قد أضافت به لبنة أخرى إلى لبنات ما تزخر به المكتبة المغربية من مؤلفات تاريخية

والله ولي التوفيق

وحرر برباط الفتح في فاتح ربيع الاول 1409
الموافق 13 أكتوبر 1988م

# تقديـــــم

بقلـــم

## الاستاذ عبد الوهاب بن منصور

مؤرخ المملكة

عضو. اكاديمية المملكة المغربية

لا شك في أن دخول المولى ادريس بن عبد الله الكامل إلى المغرب سنة 169 هـ وتأسيسه فيه بعد ثلاث سنوات لأول دولة مستقلة يعد ثاني حدث مهم في تاريخه الاسلامي، فإذا كان الفاتحون المسلمون الأولون حملوا إليه الاسلام في القرن الأول للهجرة فإن ادريس الأول هو الذي مكّن فيه للدين الحنيف بعد ذلك بقرن، ووضع اللبنات الأولى في صرحه السياسي والثقافي والاجتماعي المتميز والمختلف تمام الاختلاف عن الصروح بل عن الصبغات التي اصطبغ بها قبل مجيء الأسلام والتي لم تثبت على مرِّ الزمان

وتتجلى عبقرية الامام ادريس في كونه اضطلع بهذا العبىء الذي ينوء بالعصبة أولي القوة وهو فريد وحيد، بل شريد طريد دخل المغرب فاراً من ملاحقة ابناء عمه العباس الذين كانوا يرتابون في ابناء جده عليّ ولا يطيقون العيش معهم في مكان، ليس له من ظهير الا فتاه راشد بن منصة الأوربي، ولكنه على وحدته وقلة ذات يده وعدم الاستظهار بأية نحلة دينية أو الاعتماد على أية عصبية قبلية أمكنه أن يكسب ثقة رؤساء البربر به ويتزوج احدى كريماتهم ويضمن التفاف

جموعهم عليه، فأنشأ بهم ملكا رحب الأطراف متسع الأكناف، يمتد من المحيط الأطلنطي إلى وادي شلف بقلب المغرب الأوسط، ومن البحر المتوسط إلى مشارف الصحراء، ولو طال أمد حكمه ولم يمد إليه خصومه يد الغدر لبلغت دعوته وشمل حكمه الشرق والغرب، ولأنحسرت عظمة بغداد وازدهرت في المغرب بغداد أخرى عظيمة

ولا تنحصر آلاء الامام ادريس رضي الله عنه وافضاله على الأمة المغربية في كونه انشأ لها كيانا مستقلا وأقام بها دولة غارت منها الخلافة المشرقية وخشيت أن تنتزع منها زمام الحكم في أقطار أخرى قريبة من مقر سلطانها، بل تتعدى آلاؤه وأفضاله المجال السياسي إلى مجالات أخرى، فهو الذي تمم ما بدأه الفاتحون الأولون من نشر الاسلام وإبلاغ دعوته إلى القرى المنعزلة في فنن الجبال، والحلل النائية في تخوم الصحراء، فالسنوات الخمس التي قضاها في الحكم امضاها متنقلا بجيشه بين القبائل داعيا إلى الله مبشرا بدينه القويم منشئا للمساجد التي تقام فيها الصلوات ويجتمع فيها المسلمون لتلاوة كتاب الله وتدارس آيِهِ والتفقه في أحكامه كمسجد حي أجدير بتلمسان الذي لا تزال صومعته ماثلة حتى الآن للعيان، كما أن الامام ادريس هو الذي وضع الأسس الأولى لثقافة المغرب العربية كما تدل على ذلك مخاطباته البليغة الصادرة عن ديوانه الذي لم يكن يستعمل إلا العربية، وهو الذي مرج البحرين : العربي والبربري عن طريق التصاهر بين قومه الأصليين الذين وفدت منهم عليه

وعلى ابنه وفود، وبين قومه الآخرين الذين عزروه ونصروه واتبعوا الحق الذي جاء يبشر به ويدعو إليه. فنشأ عن امتزاج الأمشاج جيل قوي صلب جديد، وهو الذي أنشأ فيما بعد الممالك ووطد أركان الحضارات وأخذ بلب الثقافات، ووقف على مر العصور وتوالي الدهور كجلمود صخر تتكسر عليه قرون المتآمرين والطامعين

إن الامام ادريس بن عبد الله الكامل يأتي في طليعة العظماء الذين يعتز بهم المغرب ويفاخر ويباهي، وأعماله الموفقة ـــ على قصر مدة حكمه ـــ تشهد له بما اسدى من اياد بيض. وما فعل من خير لشعبه، وخليق بعظيم مثله أن تشد إليه الرحال بقصد الاذكار والاعتبار، وأن تقام المواسم الشرعية التي يُعَرَّفُ فيها بفضله، وينوه بأريحيته وعبقريته، ويذكر فيها بما يذكر عباد الله المتقون وأولياؤه المخلصون

وفي هذا الصدد لا يسعني إلا أن أنوه بهذا العمل الثقافي الاعلامي الذي اضطلعت به الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي بجمعها لهده المقالات التي كتبها عن الامام ادريس صفوة من علماء المغرب ونخبة من كتابه، وأشيد بصبر الاستاذ عبد الرحيم ابن سلامة الذي يحتل الامام ادريس من قلبه مكان التعظيم والتبجيل، مؤملا أن يقتدي رجال آخرون وجمعيات أخرى به في تكريم عظمائنا وتمجيد أبطالنا

الرباط ـــ 10 ـــ صفر عام 1409 هـ

23 سبتمبر 1988 م

# المولــى إدريــس الأكبــر

المرحــوم
الأستاذ علال الفاسي

# المولى ادريس الأكبر

## وثيقة تاريخية عن دعوته لم تنشر قط
## ولم تعرف لدى الذين كتبوا عنه من المغاربة

الاستاذ علال الفاسي

إن المولى ادريس الاكبر مؤسس اول دولة اسلامية عربية مستقلة بالمغرب الأقصى يعتبر من كبار الشخصيات الاسلامية ذات المقام العالي في الصلاح والولاية وفي العلم والدراية، كما أنه من أعظم الرجال في ميادين النضال ومجال السياسة، وانه لمن المعجزات الكبرى ان يفر الرجل هو وخادمه راشد من مراكز الخطر الذي يتهدده بعد فشل اخيه محمد في موقعه فخ مارا بمناطق الخلافة العباسية وتحت عيونها وارصادها ويصل سالما الى بلاد المغرب، حيث اعد انصارا وهيأ اعوانا، ثم يؤسس دولة شريفة النسب عظيمة الأثر في نشر الاسلام ودعوة آل البيت تستمر في بلادنا ردحا من الزمان وتكون الاولى من دول المغرب كدولة عربية اسلامية مستقلة وارثة للخلافة العلوية طبقا لما كان اهل البيت اتفقوا عليه واعتمدوه.

ولقد كان من أسباب انتصاراته رضى الله عنه وقبول دعوته اسلوبه البديع الذي تتحدث عنه الوثيقة التي سنقدمها

لأول مرة، وما تحتوي عليه من برنامج اسلامي بناء، جدير بأن يمثل ماكان عليه الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم، الأمر الذي يوضح أن ثورته هو ووالده عبد لله الكامل وإخوته لا سيما محمد بن عبد الله، لم تكن للملك ولا للسلطة فحسب، ولكن قامت لمواصلة الدعوة النبوية ومقاومة الملك العضوض الذي بدأ يظهر زمن الأمويين أولا، ثم العباسيين ثانيا، والذي اصبح سيفا مصلتا على آل البيت يفتك بهم الفتك الذريع ويتخون منهم حيثما وجدوا، فالثورة الادريسية كانت لمجابهة تيار الحكم الظالم والسيطرة الشخصية باسم إمارة المومنين اقتداء بثورة الحسين بن علي ضدا على الحجاج وما كان يرتكبه في العراق من أهوال وأهواء، حتى استشهد في سبيل الحق والحرية والمصلحة العامة للمسلمين.

ومن اسباب انتصاره ايضا، انه كان قد سار نحو المغرب بعد موقعة فخ وهزيمة أخيه محمد بن عبد الله، داعيا لأخيه يحيى بن عبد لله عليهما السلام، فاستجاب له قوم من البربر، لا شك أن الأوَرْبَيين[1] كانوا منهم، ولذلك لما تبين لادريس ما جرى لأخيه كما نبينه، دعا الى نفسه وسار نحو المغرب فحقق ما عجز

(1) اوربة بفتح الهمزة والواو وسكون الراء وفتح الباء قبيلة بربرية كبرى من شعب البرانس، كانت من القبائل التي لها الكثرة والغلب لعهد الفتح الاسلامي، وكانت مواطنهم بجبل زرهون بين فاس ومكناس الى الشمال، بقاياها اليوم بناحية تازة معروفة باسمها الاصلي الغرب (وربة)، واليها تنسب حومة الوربية بفاس، من بطونها التي صارت في عداد القبائل: ديقوسة ورغيوة وزهجوكة ولجاية ومزياتة ونفاسة و نيجة.

عنه إخوته رضوان الله عليهم.

وإدريس أحد أولاد عبد الله الكامل، الملقب بالمحض لأن أباه الحسن بن الحسن المثنى بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت الحسين، وكان يشبه رسول الله ﷺ، وكان عبد الله شيخ زمانه، روى عنه الامام مالك وقد قيل له: بم صرتم افضل الناس؟ فقال لأن الناس كانوا يتمنون ان يكونوا منا، ولا نتمنى أن نكون من أحد، وكان قوي النفس شجاعا، وربما قال من الشعر شيئا، فمن شعره

بيض حرائر ما هممْن بريبة   كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام روانيا   ويصدهن عن الخنا الاسلام

ومن شعره في هند بنت أبي عبيدة

ياهند إنك لو علمت بعاذلين تتابعا
قالا فلم يسمع لما قالا وقلت بل أسمعا
هند أحب الي من أهلي ومالي أجمعا
وعصيت فيك عواذلي وأطعت قلبا موجعا

وقد ذكر السيد أحمد بن علي الداودي الحسني في (عمدة الطالب، في انساب أبي طالب) أن أبا العباس السفاح لما قدم على أبي مسلمة الخلال الى الكوفة ستر أمر آل البيت، وأراد أن يجعلها شورى بين ولد علي والعباس، فخاطب عبد الله في الأمر بكتاب قبله من الرسول وخرج يستشير جعفر

بن محمد، فحذره جعفر من ادعاء السفاح والاغترار بأن ما جمعه من شيعة في خراسان أصبحوا شيعة لعبد الله، وقال جعفر والله اني أوجب على نفسي النصح لكل مسلم فكيف اذخره عنك ؟ فلا تميتن نفسك الاباطيل، فان هذه الدولة — يعني العباسية — ستتم لهؤلاء القوم، ولأنتم اجدر من آل ابي طالب وقد جاءني ابو مسلمة الخلال بمثل ما جاءك به، ومات عبد الله المحض مخنوقا في حبس أبي جعفر الدوالقي[2].

وقد ترجم له أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين فقال إنه يكنى أبا جعفر، وأمه أم عبد لله بنت عامر وهي أم أخيه علي. وروى بسنده قال خرج رباح ببني حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو إلى الربدة، فلما صاروا بقصر النفيس على ثلاثة اميال من المدينة دعا بالحدادين والقيود والاغلال فألقى كل رجل منهم في كبل وغل فضاقت حلقتا عبد الله بن الحسن بن الحسن أبي جعفر فعضتاه فتأوه منها، وأقسم عليه أخوه علي بن الحسن ليحولن عليه حلقته اذ كانتا اوسع فحولها ومضى بهم رباح الى الربدة.

وتوفي عبد الله بن الحسن وهو ابن ست وأربعين سنة في يوم الأضحى سنة خمس واربعين ومئة. والذي رواه صاحب (عمدة الطالب) انه توفي وهو ابن خمس وسبعين سنة لا أربعين هو المتفق مع ما عند ابن حجر والمسعودي.

---

(2) عمدة الطالب، ص 83

وكان يتولى صدقات أمير المؤمنين على ابن أبي طالب بعد أبيه الحسن، ونازعه في ذلك زيد بن على بن الحسن، وقد أعقب من ستة رجال محمد ذي النفس الزكية، وابراهيم قتيل باخمرى، وموسى الجون وأمهم هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود ابن المطلب بن الأسد بن عبد العزيز بن نصر بن كلاب

ومن يحيى صاحب الديلم وأمه قرينة بنت ركج بن عبيد بيت أخي هند بنت أبي عبيدة

ومن سليمان وادريس هذا، وأمهما عاتكة بنت عبد الملك المخزومية وذكر صاحب القرطاس أن محمدا دعى بالنفس الزكية لنسكه وكثرة عبادته وزهده وروعه وعلمه وفضله، وكان له ستة اخوة وهم يحيى وسليمان وابراهيم وموسى وعيسى وادريس، وكانت ولادته على رأس مائة أبي جعفر من الهجرة لعشرين خلت من رجب، قال الفضيلي وكان ذا قدر عظيم أراد أن يركب يوما فأخذ المنصور بركابه فقيل له في ذلك، فقال هذا سيدنا وابن سيدنا، هذا هو محمد بن عبد الله وهوَ ممن بايعه ونكث وكان إماما عالما خرج له أبو داوود الترمذى والنسائي وترجم له الذهبي في تهذيب التهذيب

وقد خرج محمد بن عبد الله على المنصور فاختلى هذا بيعض أصحابه فقال له ويحك، قد ظهر محمد فماذا ترى ؟ فقال وأين ظهر ؟ قال بالمدينة، قال غلبت عليه ورب الكعبة؛ قال وكيف، قال لأنه خرج بحيث لا مال ولا رجال، فقاتله المنصور واستبسل هو حتى قتل، وكان الامام مالك قد افتى الناس بالخروج مع محمد وبايعه ولذلك تغير المنصوُر عليه، ومحمد كان يلقب بالمهدى، وتعجل الخروج قبل أن يتم أمر دعايته للذين بعثهم يدعون له في الافاق، أن أباه عبد الله أرسل إليه موسى أخاه ليصير إلى أبي جعفر ويرجع عما كان عليه* فيما أظهره. فخشي إن فعل أن لا يفي له أبو جعفر بما يعده، فنفذ برنامجه كما أراد، ولما قتل محمد رثاه جمع من أنصاره ومن أفضل ما رثى به قول غالب بن عثمان الهمدانى في قصيدة مطلعها

حييت منزله دثرت ودادا حييت منزله دثرت ودارا

وبعد هذه المعارك بين الطالبيين والخلفاء العباسيين قام الحسين بن علي بن الحسين المثلث بن الحسن المثنى، وذلك على ما في القرطاس لابن محمد بن سليمان بن علي، وكان قدم حاجا من البصرة فولاه حربه، فقاتله يوم التروية بفخ، على ثلاثة أميال من مكة وهزمه وقتله وافترق أصحابه؛ وكان فيهم عمه ادريس

بن عبد الله الكامل، وبقي القتلى من أصحابه في موضع المعركة حتى أكلتهم الطيور والسباع لكثرتهم، وكانت هذه الوقعة يوم السبت، الثامن من شهر ذي الحجة تسع وستين ومائة ومن ذريته اسماعيل الذي تركه حملا، ومن سلالته الحسن القادم على سجلماسة وهو جد الاشراف العلويين المالكين بالمغرب. فيلتقون مع ادريس بن عبد الله، ويروى أبو الفرج الاصفهاني أن سبب خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبي طالب، أن موسى الهادي ولى المدينة اسحاق بن عيسى بن علي فاستخلف عليها رجلا من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز بن عبد الله، فحمل على الطالبيين وأساء إليهم، وأفرط في التحامل عليهم وطالبهم بالعرض كل يوم، وكانوا يعرضون في المقصورة. وأخذ كل واحد منهم بكفالة قرينه ونسيبه فضمن الحسين بن علي ويحيى ابن عبد الله ابن الحسن، الحسن ابن محمد ابن عبد الله ابن الحسن، ووافى أوائل الحاج، وقدم من الشيعة نحو من سبعين رجلا، فنزلوا دار ابن أفلح بالبقيع فأقاموا بها، ولقوا حسينا وغيرة، فبلغ ذلك العمري فأنكره، وكان قد أخذ قبل ذلك الحسن بن محمد بن عبد الله وابن جندب الهذلى الشاعر، ومولى لعمر بن الخطاب وهم مجتمعون، فأشاع أنه وجدهم على شراب، فضرب الحسن

ثمانين سوطا، وضرب ابن جندب خمسة عشر سوطا، وضرب المولى عمر سبعة أسواط، وأمر أن يدار بهم في المدينة

فلما اجتمع الشيعة في دار أبي أفلح أغلظ العمرى أمر العرض، وولى على الطالبيين رجلا يعرف بأبى بكر ابن عيسى الحائك مولى الانصار فعرضهم يوم جمعة، فلم يأذن لهم بالانصراف حتى بدأ أوائل الناس يجيئون إلى المسجد، فلما صلوا حبسهم في المقصورة إلى العصر، فجرى بينهم ما يكره لتخلف الحسن عن العرض. فلما كان في الصباح أعلن الحسين بن علي بعد فراغه من الصلاة ظهوره وخطب فحمد الله وأثنى عليه وقال أنا ابن رسول الله على منبر رسول الله وفي حرم رسول الله أدعوكم الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

أيها الناس أتطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود وتتمسحون بذلك وتصنعون بضعة منه ؟

وخرج الحسين إلى مكة ومعه من أتباعه ومن أهله ومواله وأصحابه زهاء ثلاثمائة، واستخلف على المدينة دينارا الخزاعى، فلما قربوا مكة فصار والفخ تلقتهم الجيوش فعرض العباس على الحسين الامان والعفو والصلة فأبى ذلك أشد الاباء. وقد نادى في الناس :

«أبايعكم على كتاب الله وسنة رسول الله، وأن يطاع الله ولا يعصى، وأدعوكم الى الرضا من آل محمد وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والعدل في الرعية والقسم بالسوية وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا، فإن نحن وفينا لكم وفيتم لنا، وإن نحن لم نف لكم، فلا بيعة لنا عليكم، وقد قتل الحسين وهو يقاتل الجيش العرمرم وقتل معه خلق كثير

لقد روينا هذه القصة لنعلم أن الثورات التي كانت يقوم بها آل البيت، إنما كانت لنصرة السنة والذب عن حرمتهم ممن يأبى الا مطالبتهم والتنكر لهم، كما رأينا في خطبتي الحسين بن أخي ادريس، وكما سنرى في وثيقة ادريس التي وجهت الى البربر

وأما ادريس ابن عبد الله الكامل ابن الحسن بن الحسن وأمه كما سبق عاتكة بنت الحارث ابن خالد بن العاص بن هاشم بن المغيرة المخزومى، وفي خالد بن العاص يقول الشاعر

لعمرك ان المجد ما عاش خالد على الغمر من ذي كندة لا كمقيم

يمر بك العصر إن يوم وليلة فما أحد الا وأنت كريم

وتبدى الطباح البيض من جرد خالد وتخصب حتى نبتهن عميم

وجاء في شرح اللآلي‌ء المضيئة الشروح والأوصاف البسامة المتضمنة مصارع آل البيت في ثوراتهم، ان ادريس كان سار نحو الغرب داعيا لأخيه يحيى ابن عبد الله عليهما السلام، فلما صح له ما كان من أمر يحيى ابن عبد الله، دعا الى نفسه، وكان في نهاية العمل والورع تلو أخيه في الفضل والزهد والسخاء والشجاعة، وكان حليف القرآن حسن القراءة.

ولما دعا أهل المغرب، عرفه جماعة من تلك النواحي، كانوا حجوا في السنة التي قتل فيها الحسين الفخي، وشاهدوه يقاتل، وقد اصطبغ قميصه دماء، فشهر نفسه في نواحي المغرب، ودعا إلى الله هناك، فلباه خلق كثير، وكانت له مواقف كبيرة ومحاربة جمة ظهر فيها على الجنود العباسية والخوارج

وقد جاء في المرجع الشافي للامام عبد الله بن حمزة ج 1:وقد كان ادريس خرج إلى المغرب داعية لأخيه يحيى بن عبد الله عليهما السلام، فما صح له ما كان من أمر يحيى ابن عبد الله، دعا إلى نفسه، وكان في نهاية العلم و الورع تلو أخيه في الفضل والزهد والسخاء والشجاعة والكرم، وكان حليف القرآن

حسن القراءة شجيها، ولما دعا في المغرب عرفه رجال من أهل المغرب حجوا سنة قتل الفخي عليه السلام، فلما قيل من هذا ؟ قالوا هذا ادريس بن عبد الله رأيناه يقاتل وقد انصبغ قميصه دما، فقالوا نعم، فلما شهد له من عرفه دعا الى نفسه دعوته في رسالة سنأتي بها من بعد.

1 ـــ واذن فادريس كان مع محمد الفخى في فخ قطعا مع ابن أخيهما الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى، وفر الى المغرب بعد مقتل أخيه

2 ـــ ثم جاء الى المغرب داعيا لأخيه يحيى الذي عزم على مواصلة الحركة التي بدأها الحسين، وأراد مواصلتها عمه محمد الفخى.

3 ـــ ولما علم بمصير يحيى وعرفه المغاربة دعا لنفسه.

اما مصير يحيى الذي كان مع أهل فخ، فانه بعد أن استتر مدة، يجول في البلدان ويطلب موضعا يلجأ اليه، علم الفضل بن يحيى بمكانه في بعض النواحي، فأمره بالانتقال عنه وقصد الديلم وكتب له منشورا لا يتعرض له أحد فمضى متنكرا حتى ورد الديلم، وبلغ الرشيد خبره وهو في بعض الطريق، فولى الفضل بن يحيى نواحي المشرق، وأمره بالخروج الى يحيى، وقد ذكر أبو الفرج في مقاتل الطالبيين خبر المبلغ للرشيد والحوار الذي جرى بينهما، كما روى الخديعة التي عملها الفضل مع يحيى اذ راسله فأجابه يحيى حين رأى تفرق اصحابه عليه،

وسوء رأيهم فيه، وكثرة خلافهم عليه، فكتب الى الرشيد شروطا وافقه عليها وأعطاه الأمان، وبعد ما أجاره مدة عزم على الغدر به، فاستفتى محمد بن الحسن، صاحب أبي يوسف القاضي، والحسن بن زياد اللؤلؤي وأبا البختري وهب بن وهب، وكان قد دعاهم الى مجلس للمداولة في الأمر، فقال محمد بن الحسن : إن هذا الرجل مؤمن لا سبيل اليه (وكذلك كان يحيى عرضه[3] على مالك وابن الدرودي وغيرهم فعرفوه أنه مؤكد لا علة فيه) وقال الحسن بن زياد اللؤلؤي بصوت ضعيف هو أمان

وتجرأ أبو البختري وهب بن وهب فقال هذا باطل منتقض قد شق الطاعة وسفك الدم فاقتله ودمه في عنقي، فانفذ الرشيد ما أراده من قبل يحيى، وعزل محمد بن الحسن من الفتيا مدة طويلة، وولى البختري القضاء ووصله بصلة مهمة.

وهكذا تستقيم الرواية عن طريق سيرته بعد سوقطه جريحا في معركة فخ، ويقول صاحب (البسامة) التي نقلنا كلام شارحيها

وسل ادريس غرب العزم منتضيا بالغرب وهو من الاشياع في زمر
فعالجته سهام الحتف وادرفت على سراة بنيه فروة الثمر

ويدرك القارىء ان من أسباب استجابة البربر لادريس أنهم عرفوه مكافحا ملطخا بالدماء في فخ، فتأثروا لذلك، فلما

(3) اي صك الامان الذي بيده من عند الرشيد.

جاء اليهم علموا على أن يحققوا معه رغبة آل البيت في بعث الخلافة العلوية.

هذا الى جانب الاقتناع الذي حصل لهم من قراءة دعوته التي دعاهم اليها والتي عبر فيها عن كونه قائما بدعوة قتل اصحابها وأصبح هو متحملا مسؤوليتها، فكان أول من استجاب لها ثم هب يعمل على نشرها، وأنه لا يريد الا تحقيق برنامج آل البيت الذي هو السير على خطة الخلفاء الراشدين، ولاسيما نهج علي رضي الله عنه وكرم وجهه، في اقامة العدل في الرعية والقسم بالسوية، وها نحن أولا، نقدم لقرائنا الوثيقة التي كتبها الامام ادريس الأكبر إلى البربر وسجل فيها حقيقة القضية وبرنامج العمل والخطة التي يجب عليهم ان يسيروا عليها ان استجابوا له، وعرفهم بنفسه ونسبه وحسبه.

وها هي تلك الوثيقة الادريسية العظيمة التي لم يسبق ان نشرت قبل، ولم نر لها ذكرا في كتب المغاربة الذين ترجموا للمولى ادريس، ننقلها عن كتاب المرجع الشافي للامام عبد الله ابن حمزة، أحد أئمة الزيدية(4) قال روى السيد أبو العباس الحسنى رحمه الله عن أبي عبد الله أحمد بن سهل الرازي عن حسن بن عبد الواحد الكوفى عن محمد بن علي بن ابراهيم عن بكر ابن صالح الرازي عن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن

(4) الكتاب مخطوط في اليمن. والوثيقة في الجزء الأول منه.

ابراهيم بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، روي عن الحسن بن علي بن محمد بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن علي بن أبي طالب مثله[5].

## دعوة الامام ادريس المرسلة الى المغاربة

بسم الله الرحمان الرحيم. الحمد لله الذي جعل النصر لمن اطاعه، وعاقبة السوء لمن عانده، ولا إلاه إلا الله المتفرد بالوحدانية، الدال على ذلك بما اظهر من عجيب حكمته، ولطف تدبيره، الذي لا يدرك الا إعلامه، وصلى الله على محمد عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، أحبه واصطفاه، واختاره وارتضاءه، صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين

اما بعد فإني

1 ــ ادعوكم الى كتاب لله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

2 ــ وإلى العدل في الرعية والقسم بالسوية، ورفع المظالم والأخد بيد المظلوم

3 ــ واحياء السنة واماتة البدعة، وانفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد.

---

(5) وفي اللآلىء المضيئة وهي شرح آخر للبسامة ما يلي ولا دريس بن عبد الله دعوات رواها السيد أبو العباس الحسنى باسناد رفعه إلى عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب نذكر منها زبدا لنستدل بها على علمه وزهده وجريه على منهاج اهل بيت العلويين عليهم الصلاة والسلام اجمعون ثم نقل بعضا من الدثقة

4 ــ واذكروا الله في ملوك غيروا، وللأمان خفروا، وعهد الله وميثاقه نقضوا، ولبني بيته قتلوا.

5 ــ واذكركم الله في أرامل احتقرت، وحدود عطلت، وفي دماء بغير حق سفكت.

6 ــ فقد نبذوا الكتاب والاسلام، فلم يبق من الاسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه.

7 ــ واعلموا عباد الله أن مما أوجب الله على أهل طاعته، المجاهدة لأهل عداوته ومعصيته باليد وباللسان

أ ) فباللسان الدعاء الى الله بالموعظة الحسنة، والنصيحة والحض على طاعة الله، والتوبة عن الذنوب بعد الانابة والاقلاع والنزوع عما يكرهه الله، والتواصي بالحق والصدق، والصبر والرحمة والرفق، والتناهي عن معاصي الله كلها، والتعليم والتقديم لمن استجاب الله ورسوله حتى تنفذ بصائرهم وتكمل، وتجتمع كلمتهم وتنتظم.

ب ) فاذا اجتمع منهم من يكون للفساد دافعا، وللظالمين مقاوما وعلى البغي والعدوان قاهرا. اظهروا دعوتهم، وندبوا العباد الى طاعة ربهم، ودافعوا أهل الجور عن ارتكاب ما حرم لله عليهم، وحالوا بين أهل المعاصي وبين العمل بها، فان في معصية الله تلفا لمن ركبها، وإهلاكا لمن عمل بها.

ج ) ولا يؤيسنكم من علو الحق واضطهاده؟ قلة انصاره، فان في مابدا من وحدة النبي صلى الله عليه وسلم

والأنبياء الداعين الى الله قبله، وتكثيره إياهم بعد القلة، واعزازهم بعد الذلة، دليلا بينا، وبرهانا واضحا، قال الله عز وجل «ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة» وقال تعالى «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز» فنصر الله نبيه وكثر جنده، وأظهر حزبه، وانجز وعده، جزاء من الله سبحانه وثوابا لفضله وصبره وايثاره طاعة ربه ورأفته بعباده، ورحمته وحسن قيامه بالعدل والقسط في تربيتهم ومجاهدة اعدائهم وزهده فيهم، ورغبته فيما يريده الله، ومواساته اصحابه، وسعة اخلاقه، كما أدبه الله، وأمر العباد باتباعه. وسلوك سبيله والاقتداء لهدايته، واقتفاء اثره، فاذا فعلوا ذلك انجز لهم ما وعدهم. كما قال عز وجل «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»

قال تعالى «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تتعاونوا على الاثم والعدوان».

وقال «إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي»

وكما مدحهم وأثنى عليهم، كما يقول «كنتم خير امة اخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله».

وقال عز وجل «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض».

وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأضافه الى الايمان والاقرار لمعرفته، وأمر بالجهاد عليه، والدعاء اليه، قال تعالى «قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق».

وفرض قتال المعاندين على الحق، والمعتدين عليه وعلى من آمن به وصدق بكتابه حتى يعود إليه ويفيء، كما فرض قتال من كفر به وصد عنه حتى يؤمن ويعترف بشرائعه، قال تعالى «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر لله، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان لله يحب المقسطين».

هـ ) فهذا عهد لله اليكم وميثاقه عليكم، بالتعاون على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان، فرضا من الله واجبا، وحكما لا زما، فأين عن الله تذهبون ؟ وأنى تؤفكون ؟

و ) وقد خانت جبابرة في الآفاق شرقا وغربا، وأظهروا الفساد وامتلأت الأرض ظلما وجورا، فليس للناس ملجأ ولا لهم عند اعدائهم حسن رجاء، فعسى ان تكونوا معاشر اخواننا من البربر اليد الحاصدة للظلم والجور، وانصار الكتاب والسنة، القائمين بحق المظلومين من ذرية النبيئين، فكونوا عنده لله بمنزلة من جاهد مع المرسلين، ونصر الله مع النبيئين.

8 ــ واعلموا معاشر البربر أني أتيتكم، وأنا المظلوم الملهوف، الطريد الشريد، الخائف الموتور الذي كثر واتره، وقل ناصره، وقتل اخوته، وأبوه وجده، واهلوه، فاجيبوا داعي الله، فقد دعاكم إلى الله، فإن الله عز وجل يقول «ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء».

أعاذنا الله وإياكم من الضلال، وهدانا وإياكم الى سبيل الرشاد.

9 ــ وأنا إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب، عم رسول الله ﷺ، ورسول الله وعلي بن ابي طالب جداي، وحمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار في الجنة عماي، وخديجة الصديقة وفاطمة بنت اسد الشفيقة جدتاي، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت الحسين سيد ذراري النبيئين أماي، والحسن والحسين أبنا رسول الله ﷺ ابواي، ومحمد وإبراهيم ابنا عبد الله المهدى والزاكي اخواي

10 ــ هذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن اجابني فله مالي، وعليه ماعلي، ومن أبى فحظه اخطأ، وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة أني لم أسفك له دما، ولا استحللت محرما ولا مالا، واستشهدك ياأكبر الشاهدين واستشهد جبريل وميكائيل إني اول من أجاب وأناب، فلبيك اللهم لبيك مزجي السحاب، وهازم الاحزاب، مصير الجبال سرابا، بعد أن كانت صما صلابا، اسألك النصر لولد نبيك، إنك على كل شيء قدير، ه السلام.

وصلى الله على محمد وآله وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

نسخة خطية تتضمن الخطاب الذي وجهه المولى إدريس إلى المغاربة، وهو يتضمن الأهداف المتوخاة من قيام الدولة.

## تأملات في هذه الوثيقة

لاشك في أهمية هذه الوثيقة التي تعرفنا بحقيقة الدعوة الادريسية، في شكل بيان موجه لبربر المغرب، وأول ما تدل عليه قيمة المولى إدريس الأكبر العلمية والسياسية، واتجاهه العقائدي الواضح البين، فالمولى ادريس امام من أئمة السنة وعالم من أعلام آل البيت، يعتقد في أحقية أبناء علي للخلافة وجدارتهم بها، لما لهم من الاتصال بالرسول والاستمرار في وراثة سره والدفاع عن شريعته، ولم يذكر ادريس في أدلة أحقيته هو والذين سبقوه بالخلافة ما يذكره الشيعة عادة من أن عليا استحق ذلك بوصاية الرسول، وأن أبناء علي استحقوها بوصية جدهم لولده ثم لمن بعده، بل إنه يدعو باسم الحق الذي ناله ببيعة الأئمة والشعب لأخيه محمد، وتألب العباسيين عليه وعلى إخوته من بعده، حتى اصبح ادريس وحده المطالب برد الأمر الى نصابه، فجاء يطلب العون من شعب يومن بالاسلام ويعرف بحبه للحق والعدل ولآل بيت الرسول، إنه يدعو باسم واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذين هما من تتمة الايمان لأنهما مقرون ذكرهما في القرآن بالايمان، ومن هنا نستدل على أن إدريس ووالده واخوته كانوا أبعد الناس عن مذهب التشيع، فيحيى الذي دعا له إدريس أولا كان سنّيا سليم العقيدة، يقول عنه أبو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبيين

(وكان حسن المذهب والهدى مقدما في أهل بيته بعيدا مما يعاب عليه مثله[6]) وحدث اسماعيل ابن موسى الفزازي قال رأيت يحيى بن عبد الله بن الحسن جاء الى مالك بن أنس بالمدينة، فقام عن مجلسه واجلسه إلى جنبه[7] ولا يفعل مالك هذا مع شيعي ولا مع معتزلي، واعتقد أن عدم انتشار التشيع في المغرب رغم كل ما بذله الفاطميون من بعده إنما هو لأن القادم إلى بلادنا هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، وأن معظم أشراف المغرب من سلالة الحسن بن علي رضي الله عنهم الا ثلاثة أشراف هم من ذرية الحسين فيما يقول النسابون، وهم المسفريون، والصقليون، والعراقيون.

وبدأ الامام دعوته بخطبة أعرب فيها عن عقيدته السنية بتوحيد الربوبية، وأنه لا يدرك إلا ما أعلم الله سبحانه به، وهي فقرة عظيمة الأهمية في دعوى الاعتزال الذي نسب للأمام إدريس، لأن هذه الجملة تدل على أنه متيقن بأن إدراك الشرائع وكل شيء لا يكون الا باعلام الله لا مجرد العقل كما يقول أهل الاعتزال، وقد زعم صاحب القرطاس أن إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوزبي كان معتزليا فوافقه إدريس في حاله[8]. وقد كتب عليه الاستاذ عبد الوهاب بن منصور في طبعة دار

---

(6) مقاتل الطالبيين ص 337

(7) نفس المصدر ص 338.

(8) ابن ابي زرع روض القرطاس ص 19

المنصور التي حققها ما يلي : (الذي يظهر من سياق الكلام، يعني كلام القرطاس، ان اسحاق هو الذي وافق الامام إدريس، أما المؤرخون قبل بن أبي زرع، فيذكرون أن الامام إدريس هو الذي وافق إسحاق في مذهبه الاعتزالي) اما الذي اعتقده فهو أن إدريس الأكبر لم يكن اعتزاليا قبل قدومه للمغرب فيدعو إسحاق الى الاعتزال ويوافقه هذا الأخير، ولا حين وصل وَلِيلَة(*) فوافق هو إسحاق الأوربي على حاله

أولا ما تدل عليه الوثيقة التي بين ايدينا، فليس فيها ما يشم منه رائحة الاعتزال.

وثانيا إن وصوله الى وَلِيلَة كان بعد سنتين من قدومه الى طنجة ومدينة الجدار (تلمسان) ودعوته، واتباع عديد من البربر له، فليس بحاجة لأن يوافق الأوروبي بعد وصوله الى وليلة على مذهب لا يومن به.

ثالثا إن المؤرخين المغاربة لم يذكروا في الغزوات والدعوات التي كان يقوم بها ادريس طيلة مدة خلافته، إنه دعا الى عقيدة غير الكتاب والسنة والدين الاسلامي الصريح،

رابعا ان مالكا بايع اخاه محمدا وقام لأخيه يحيى حين

(*) وليلي تكتب في اغلب الاحيان بالف لينة كسلمى ولبنى، وفي القليل بتاء في الاخير (وليلة) كوليجة ووسيلة، فنطقها الناس بكسر اللام مع ان الفتح هو الصحيح، وفي الدراهم الادريسية المكتشفة اخيرا كتبت بتاء مربوطة في الاخير (وليلة)، لذا قررنا ان نكتبها كذلك ابتعادا عن اللبس الحاصل من عدم شكل الكتابة العربية وذلك من عللها وادوائها التي لا تعالج الا بشكل الحروف ليستقيم النطق.

دخوله عليه، وحاشا مالكا أن يبايع محمدا على إقامة الاعتزال أو غير السنة، او يقوم لمعتزلي، وآراء مالك في كل ذلك صريحة واضحة،

خامسا ان العباسيين والاغالبة لو علموا عن ادريس اعتزالا او تشيعا لكان ذلك أولى أن يشنعوا به عليه في مؤامراتهم عليه مع من قاوموه أو ذهبوا لاغتياله، ولم ار للمؤرخين الذين كتبوا في الموضوع تصريحا رسميا باتهام الادارسة بالاعتزال.

سادسا سبق ان نقلت من خطبته فقرة (لا يدرك الا ما علمه) وهي واضحة في أن الشرائع تأتي بتعليم من الله ووحي لا مجرد كاشفة لصواب ما حكم العقل به كما يقول المعتزلة.

نعم إن ابن خلدون في المقدمة ينقل عن طائفة من الزيدية تقول : إن الامام بعد محمد بن عبد الله هو أخوه ادريس الذي فر الى المغرب ومات هناك،[9] ومن المعلوم أن الزيدية يقولون إن الامامة على مذهبهم فيها باختبار أهل الحل والعقد لا بالنص، فيمكن أن يفهم من هذا أن الامام إدريس كان زيديا، والزيدية الجارودية تتفق مع المعتزلة في أن العبد يخلق أفعاله، وفي أشياء أخرى، ويعتبر الشيعة الأثني عشرية أنفسهم يغرفون من ميعن واحد مع المعتزلة ولكن لم يثبت أن المعتزلة يقولون بالوصاية لعلي ومنه لأبنائه وقد علمت أن الزيدية لا

(9) ابن خلدون ــ المقدمة 359 طبع الزين.

يقولون بذلك أيضا، فكل ما يمكن أن يقال، أن المولى إدريس كان من الوجهة السياسية مع الزيدية وحاشا أن يكون مع الجارودية، وهذا ما مهد لبعض قدماء المؤرخين أن يقولوا باعتزاله، لكنه لم يعرف عنه وهو في المغرب الا دعوته للحق، ونعتقد أنه من أهم أسباب دخول المذهب المالكي للمغرب وانتشاره به، للسنة التي نشرها إدريس، ولتأييد مالك لمحمد أخيه ومبايعته له، فالمولى إدريس الأكبر كان سنيا زيدي الاعتقاد السياسي، أي يقول بأن الخلافة في آل البيت بعد مبايعة أهل الحل والعقد لمن شاؤوا منهم، ولا شك أنه حتى لو تابع الامام زيدا في الفقه فإنه يجده متفقا في الغالب مع المذهب المالكي، على أننا نحن نعتقد أن الفرق كلها أعني غير المتطرفة تعد من أهل السنة، والفرقة المنعزلة عن أهل السنة هي الشيعة الأثني عشرية، فالمعتزلة والخوارج في نظرنا من أهل السنة وان انحرفوا في نظرياتهم التي اختصوا بها، وعليه فليس في داخل الاطار الاسلامي إلا السنيون الشيعة، ومولانا إدريس الأكبر سني وليس شيعيا، ولذلك ليس معتزليا

2 ـــ ثم يبدأ إدريس دعوته مبينا انها ليست بدعا من القول، ولا شيئا زائدا على ما دعا إليه الرسول ﷺ من اتباع الكتاب والسنة والمساواة بين الناس، عدلا في الحكم، وتسوية في قسم الرزق (الفيء) ومحو الظلم والنضال في سبيل انقاذ كل مظلوم.

ويبين أن هذه الدعوة الى العدل والمساواة ضرورة ملحة كما هو واقع من مخالفة أولياء الأمر الذين في عهده لما أمرهم الله بتنفيذه، لاسيما ما يجرى منهم من الغدر، مشيرا لما فعل الرشيد مع أخيه يحيى بن عبد الله الكامل، فقد امنه الرشيد ثم غدر به فقتله.

ويوضح أن الأمر لا يتعلق بأقاربه فحسب، ولكن الظلم عم اليتامى والأرامل حتى احترقت إنسانية كل مسلم، وفي الوقت الذي نبذ فيه هؤلاء تطبيق الحدود الشرعية يواصلون سفك الدماء البريئة بغير حق.

وهكذا، يقول إدريس، لم يبق من الدين إلا اسمه ولا من الاسلام إلا رسمه، لنبذ هؤلاء الحكام الكتاب والاسلام في أحكامهم وفي سلوكهم.

وبديهي أن ينتقل من تصوير هذه الحال الى بيان حكم الشريعة فيها وفي المتخلقين بها.

والحكم الشرعي ضرورة هو الجهاد لهم باليد وباللسان.

فما هو الجهاد باللسان اذن ؟ يفصل الامام الجواب عن ذلك بأنه يقع طبقا لخطة مدروسة ومرتبة، فيبدأ الداعي بالموعظة الحسنة، والحض على الطاعة لله، والتوبة والانابة إلى دينه، والتضامن بين المسلمين عن طريق التواصي بالحق والصدق والصبر على ما يلحقهم من أجل ذلك، والأخذ بتعليم الناس كلهم، وتقديم المستجيب لله ورسوله على غيره.

وهكذا تحصل النتيجة المطلوبة إذ يقع اجتماع الكلمة وانتظام شمل جماعة من المستجيبين المخلصين الذين يقدمون على غيرهم.

حينئذ تتأسس من هؤلاء الخلية الأولى التي تقدر على دفع الفساد ومقاومة الظلم والظالمين فيصبح على هذه الفئة أن وتظهر دعوتها، وتقوم بما يجب عليها لأحياء الاسلام الحق ومقاومة الذين لا يومنون بالله و ولا يدينون دين الحق.

ولا شك أن هذه الفئة المستجيبة المقدمة على غيرها المختارة لاظهار دعوتها ستكون قليلة العدد، فعليها اذا أن لا يعوقها ذلك على العمل، معتمدة على ايمانها، وضرب لها المثل برسول الله ﷺ، الذي بدأ الدعوة وحده، ثم استجابت له ثلة من الناس فقاموا معه بالجهاد، فنصرهم الله بعد القهر، واعزهم بعد الذل. وقد استدل على ذلك بآيات من كتاب الله، تتحدث عن أحوال الرسول والمسلمين الأولين مع اعدائهم.

إن بدأ الرسول ﷺ الدعوة سرا، ثم إظهاره الأمر بعد أن تجمع له جمع المستجيبين يبقى مثلا خالدا لكل داعية يعمل على تجديد أمر الدين لهذه الأمة.

وما يطلبه الامام إدريس من الذين يسميهم المستجيبين لا يعتبر تطوعا منهم، بعد أن أجابوا داعي الله، بل هو واجب عليهم، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقرونا في كتاب

الله بالايمان بالله، وكذلك شأن المعاندين على الحق والمعتدين عليه.

ويصل الامام ادريس الى نقطة الأساس في دعوته. وهي مقاتلة البغاة الذين أبوا أن يفيئوا لأمر الله، وهذا ما يوضح أن العباسيين في نظر الامام بغاة خرجوا على من لهم حق الخلافة من آل البيت، اللذين سبقت لهم البيعة الصحيحة، وهو يشير بذلك على الأخص لمحمد بن عبد الله أخيه، فقد كان بويع له قبل أبي جعفر المنصور فخرج عليه أبو جعفر وقام محمد عليه فبايعه مالك وغيره من خيار هذه الأمة ، وأفتى مالك الناس بجواز الخروج معه، لأن بيعته كانت في عنق الأمة، لا غرو حينئذ أن يعد الخارجون على محمد بن عبد الله بغاة، وأن يصح ليحيى بحكم ولاية العهد أن يوصل النضال ضدا على العباسيين ولذلك جاء إدريس أولا يدعو لأخيه يحيى، فلما عرف نهاية أمره، أصبح متيقنا أنه وحده الذي يمكنه أن يقوم بالأمر من بعده فدعا لنفسه، ورأى واجبا عليه وعلى إتباعه مقاومة بغاة العباسيين عملا بقوله تعالى «فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي».

ويوجه إدريس للبربر الخطاب بأن عهد الله أصبح موجها إليهم وميثاقه عليهم، إذا استجابوا لدعوته، وأصبحوا قادرين على معاونته على نصرة الحق، وتطهير الآفاق شرقا وغربا من الفساد الذي استفحل بها، ويدعوهم الى القتال معه كما قاتل

كبار المومنين مع النبيئين، ورجا أن يكون البربر اليد الحاصدة لكل الظالمين المعتدين. وإنها لثقة عظيمة في مواطنينا البربر الذين تعهدوا بنصرة الاسلام ونصرة أهل الحق ومقاتلة الظالمين وحصد الخارجين.

وكل هذا يدل على أن إمامنا إدريس رضي الله عنه لم يكن يريد الملك، وإنما كان يدعو إلى الخلافة عن طريق بيعة القادرين من أهل الحل والعقد المغاربة، ولم يكن يريدها بيعة لخلافة مغربية خاصة، ولكنها بيعة عامة ينطلق منها إدريس والمستجيبون له من البربر الأمازيغ الأبرار الأحرار لاحياء السنة واماتة البدعة من طريق بعث الخلافة الاسلامية التي توحد المشرق والمغرب حول خليفة واحد من بيت النبوءة، هو الامام إدريس بن عبد الله، وبذلك يقضى على الملك العضوض والأنظمة الكسروية القيصرية التي يرى العلويون أنها بدأت منذ الامويين وسار العباسيون على نهجهم فيها.

وبعد هذا التوضيح للحقيقة الإسلامية في عصره، وما يحتاجه المجتمع الاسلامي من إمامة صحيحة صادقة يأخد المولى ادريس في ترشيح نفسه على انه الأحق بها والامام المرجو لها والقادر على أن يكون القائد الرائد لهذه الفئة المؤمنة إذا هي أمدته بقوتها وإيمانها، فيعبر لها عن حالته التي جاء عليها، فقد جاء شريدا طريدا مظلوما، يرجوا نصرتهم وأن يستجيبوا له لأنه داعي الله، و الله يقول «ومن لايجب داعي الله فليس

بمعجز في الأرض وليس له من دونه اولياء».

وانه لمهج عاطفي صريح، إدريس بن عبد الله، الشريد الطريد الذي لا يستند لغير الحق، ولا يعمل إلا لنصرة الاسلام، يرشح نفسه للمستجيبين من البربر الناصرين للحق بالحق، وليكونوا على هدى من أمرهم وليعرفوا من هو هذا القائد الذي يتقدم أمامهم يعرفهم بنفسه، بكونه سبط الرسول يتصل به عن طريق اخيه وأمه وجده ذاكرا لكل منهم قيمته الدينية بأسلوب أخاذ مؤثر، لا بد أن يفعل فعله في نفوس المومنين المحبين لآل بيت رسول الله

ويأبى إدريس إلا أن يؤكد في ختام خطبته الانتخابية أنه يترك لهم الحرية التامة في قبوله أو رفضه، لأنه لا يلزم احدا بالاستجابة له ولا يرغم من أبى، لا يسفك دما ولا يهتك لأحد عرضا. ولا يأخذ مالا، إنه واثق بقوة الدعوة وصلاحية الداعي، وروح المخاطبين الذين أحس منهم حب نصرته. واستجابة دعوته، معتمدا على الله ذى الحول والطول، لأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنه لمنهج نفسي يدل على مقدار معرفة إدريس بأغوار النفس البشرية، وبأن الايمان الصادق وحده هو القادر على أن يدفع لتأييد الحق ونصرة أهله.

إن هذه الوثيقة العظيمة التي نقدمها للقراء لأول مرة تنير لنا الطريق التي سلكها إدريس حتى نجحت دعوته، فقد خطط ولا شك بمساعدة خادمه راشد منهج الدعوة في المغرب،

وكان في حسبانهم أن يصلوا أولا الى طنجة ويقفوا عندها، وذلك ما تتحدث الرواية أنه وقع. فقد وصل الى مدينة تلمسان ومليلية أي مر بهذه الأماكن، واستقر في طنجة سنتين، يقول المؤرخون إنه لم يجد بها غناء، فانتقل منها الى وليلة، وهو تفسير لا دليل عليه، ولكن السنتين كانتا مدة الدعوة بالكتب للقبائل وإسارل المستجيبين الأولين وتكوين الخلايا كما يظهر من التعليمات التي تعطيها الوثيقة التي بين أدينا، ويعبر احمد المقْري أنه بعد سنتين أسري به الى وليلة من جبل الغمام من عمالة طنجة، [10] وهي دليل على أن مقامه هذه المدة كان في شكل اختفاء عن الناس أو تستر على الأقل ليتمكن من نشر الدعوة، واستجلاب الأنصار حتى انتظمت له الأمور واتضح الاتجاه، فسرى ليلا مع راشد الى جبل وليلة حيث كان اسحاق بن عبد الحميد الاوربي رئيس قبيلة أوَرْبة بل ملك تلك المنطقة الذي دخل في الدعوة ودعا إليها، فاستقبل إدريس وراشد، وتنازل له على السلطة، وبايعه على الخلافة، على اعتبار أنه احق بها وأولى، ولاشك ان هذه البيعة كانت عامة شاملة، تفرض نفسها على جميع الاقطار المسلمة، لأن هذه هي الغاية التي قام من أجلها محمد بن عبد الله ويحيي، فلا يمكن إلا أن تكون هي الغاية التي أراد الوصول اليها الامام إدريس  وقد تحدث

---

(10) احمد بن محمد التلمساني المقرى، في كتابه زهرة الاخبار في تعريف انساب آل بيت النبي المختار ص 30، طبعة المطبعة الجديدة بفاس .

الرقيق القيرواني في تاريخ افريقية والمغرب عن راشد فقال «إن راشدا هذا، قد علا أمره بالمغرب واستفحل، وهو مولى إدريس بن عبد الله بن الحسن، وكانت همته غزو افريقية لما فيه من القوة والكثرة» ثم تحدث عما فعله ابراهيم الأغلبي لقتله مما سيأتي بيانه، ومن المعلوم أن راشدا كان وزير المولى ادريس، فتفكيره لغزو افريقية لا يمكن أن يكون الا مقدمة لتوحيد أقطار المغرب ثم الزحف الى المشرق لتحقيق وحدة الخلافة الاسلامية.

من هذه العجالة التي علقنا بها على وثيقة الامام إدريس يتبين الدور العظيم الذي قام به هذا الامام الأوحد، في نشر دعوته وتدبير أمر ظهوره. وهو مالم يبرزه المؤرخون الذين تحدثوا عن إدريس، بل حكوا قصته وكأنه نجاح مرتجل، جاء الى طنجة ولم يجد عندها غناء، فانتقل الى وليلة وتم له ما أراد فان الامر لا يمكن أن يكون بهذه السهولة التي لم تتهيأ حتى لرسول الله ﷺ، وذلك لأن الله يريد أن ينصر الحق بأهله وبنضالهم وتدبيرهم، ولو شاء أن ينصر محمدا لأول دعوته لفعل، ولكن حكمته اقتضت أن يكون هنالك صراع بين الحق والباطل، «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة». وكذلك لابد أن يكون امر ادريس نتيجة ايمانه وقيامه لنصرة الحق، ولا بد ان يكون كذلك نتيجة تخطيط وتدبير وسياسة محكمة، فما اعظمه من رجل، وما أشد ثباته ويقينه في أن الله ناصر من نصره، وما أعظم منته على بلادنا اذ كان فاتحا ثانيا

لها، بعد الفاتحين الأولين، وستبقى دعوته قائمة في أعناقنا بربرا وعربا، لأنها دعوة التجديد الدائم لسنة الاسلام في السلوك وفي الحكم وفي تحقيق وحدة الاسلام العامة الشاملة.

## طريق هجرة المولى ادريس الاكبر الى المغرب

تتحدث الرواية على ما عند ابن أبي زرع وغيره، ان إدريس فر بنفسه من موقعة فخ، بعد ما أصيب له أخوه الذي سار مع عمه الحسين مستترا متجها الى المغرب يرافقه مولى له أو لأخيه، اسمه راشد، وذلك من مكة الى مصر التي كان العامل عليها علي بن سليمان الهاشمي ولاه عليها الخليفة موسى الهادي، فبينما إدريس وراشد يتجولان في شوارع مصر اذ استوقفهما منظر دار حسنة البناء، فأخذا يتأملان في هيأتها وجميل منظرها، فخرج صاحب الدار وسلم عليهما فردا عليه، وسألهما عن ما يتأملان فيه، فأجابه راشد أنهما أعجبا بحسن بنائها وإتقان صنعها فقال أظنكما غريبين عن هذه البلاد، فاعترف له راشد بصدق ما توقعه، وعرف منهما أنهما حجازيان من مكة، وسألهما هل هما من شيعة الحسنيين الفارين من موقعة الفخ، فتوقفا في الجواب خوفا من افتضاح أمرهما ثم إنهما عملا بمقتضى الحديث «التمسوا الخير من حسان الوجوه»، فقال له راشد أرى لك صورة حسنة وقد توسمت فيك الخير لطلاقة وجهك واستبشارك، وأعتقد أن ذلك دليل

على حسن فعالك وشيمك، فهل إذا نحن حدثناك عن حالنا تخفى عنا وتستر أمرنا ؟ قال نعم ورب الكعبة، أكتم أمركما وأصون سركما وأبذل جهدي في معاونتكما قال راشد  ذلك الظن بك والثقة بفضلك، ثم أخبره أن رفيقه إدريس بن عبد الله المحض، وأنه هو مولاه راشد، وقد هربت به خوفا عليه من القتل، متجها به إلى بلاد المغرب، فطمأنهما[11] وهدأ من روعهما، وأخبرهما أنه من انصار آل البيت ومواليهم، وتقول بعض الروايات في وصفه أنه رافضى، والظاهر أنه نصير أهل البيت فحسب، على اعتبار انتسابه للهاشميين ولاء، وقد قال إنه أول من يكتم سرهم ويستر أمرهم ويبذل جِهده في حقهم، ثم بعدما طمأنهما أدخلهما الى منزله وأكرمهما مدة، حتى اتصل خبرهما بعلي بن سليمان الهاشمي عامل مصر فبعث الى الرجل المضيف لهما يخبره أنه قد رفع اليه أمر الرجلين الذين اختفيا في منزله، وقد كتب إلى أمير المؤمنين في شأن الحسنيين والبحث عمن وجد منهم، وقد بث جواسيسه في الطرقات وجعل عيونه في كل مرصاد، فلا يمر أحد إلا ويبحث عن نسبه، وحاله، ومن أين قدم ؟ والى اين يسير ؟ وإنني لا أريد ان

---

(11) في الاصل فطمأنهما العامل، وليس كذلك، فان صاحب الدار الذي ادخلهما واكرمهما وطمأنهما هو واضح مولى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين صاحب بريد مصر، وقد قتله هارون الرشيد بعد ذلك عقابا على ايوائه ادريس ومولاه راشد وتدبيره امر فرارهما الى المغرب.

أتعرض لدماء أهل البيت أو ينالهم أذى بسببي، فلك ولهما الأمان، فاخبرهما بما أبلغتك وأجلهما ثلاثة أيام يخرجان خلالها من عملي حتى لا يبلغ خبرهما الى الهادي فيخرجكم من يدي، فأعلم الرجل إدريس وغلامه راشدا فعزما على مواصلة مسيرتهما إلى المغرب، ولكن رغبة الرجل في إنقاذهما وإخلاصه لهما جعلاه يقرر مرافقتهما، فاشترى لهما راحلتين ولنفسه اخرى، ووضع لهما زادا ليبلغهما الى افريقية وقال لراشد اخرج انت مع الرفقة على الجادة، وأخرج أنا مع إدريس على طريق غامض لا تسلكه الرفاق وموعدنا برقة، هناك انتظرك تأمينا لادريس ممن يطلبه، فوافقا على الرأي ووثقا بالرجل وخرج راشد مع الركب التجاري على الجادة العادية، وخرج الرجل المصري وإدريس على البرية حتى أبلغه برقة، فقعدا بها حتى وصل راشد، فأوجد لهما الرجل هناك زادا يبلغهما وودعهما وانصرف راجعا الى مصر، وواصل إدريس وراشد السير الى افريقية يجدان في السير حتى بلغا القيروان، فبقيا فيها زمنا قبل أن يتجها صوب المغرب الأقصى.

ويقول ابن أبي زرع أن راشدا كان من أهل النجدة والشجاعة، والحزم والقوة، والعقل والدين، والنصيحة لآل البيت رضي الله عنهم، فعمد الى إدريس حين خرج به من القيروان وألبسه مدرعة صوف خشنة وعمامة غليظة، وصيره مثل خادم له، بحيث يأمره راشد وينهاه خوفا عليه وحياطة له،

واستمرا على ذلك الحال حتى وصلا الى مدينة الجدار (تلمسان) فأقاما للاستراحة بها زمنا، ثم قصدا مدينة طنجة التي كانت عاصمة المغرب اذ ذاك، فعبرا ملوية ودخلا السوس الأدنى، وهو من وادي ملوية الى أم الربيع، ومن هناك الى طنجة.

وفي هذه القاعدة المغربية أقام إدريس عامين على الأصح لا أياما كما يقول ابن أبي زرع ومن نحا نحوه من المؤرخين، ومنها أرسل يدعو الى يحيى أولا، ثم لما صح له انتهاء امره بقبض الرشيد عليه والغدر به بعد تأمينه دعا الى نفسه، ولاشك أنه وجد بطنجة أعوانا حملوا له دعوته المكتوبة الى الجهات المختلفة، وسار في خطته التي يبشر بها في دعوته من العمل على انتظام شمل الجماعة الأولى التي تظهر نفسها، ويظهر أنه وجد عند إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي صاحب وليلة قبولا فاتفقا معه على الانتقال الى وليلة التي كانت متوسطة خصبة كثيرة المياه والغروس الزيتون، وكان لها سور عظيم من بنيان الاوائل، وكانت تابعة لطنجة اي عاصمة اقليم موريطانيا الطنجية، حسب التقسيم الاداري الروماني القديم، فكان وصول إدريس لطنجة سنة مئة وسبعين هجرية، وأسري به الى وليلة حسب تعبير المقري سنة مئة واثنتين وسبعين هجرية، حيث استقبله اسحاق واتباعه في فاتح ربيع الاول المبارك (السبت 9 غشت 788 م) حسب توفيق المنصور.

وبعد ستة اشهر من الاستقرار تدارس فيها إدريس وراشد وإسحاق كيفية مواجهة الأمر، وطريقة الظهور بالدعوة، عقد إسحاق في رمضان مؤتمرا ضم إخوانه وقبائل أوربة، فعرفهم بإدريس ومقامه ونسبته لرسول الله ﷺ، وبين لهم شرفه وعلمه، وما أمتعه الله به من محاسن الخلق والخلق، ففرحوا لمقدمه، وحمدوا الله على أن من عليهم بواحد من ذرية الرسول يقيم بين ظهرانهم، وأعلنوا عن استعدادهم لخدمته وتنفيذ تعاليمه والسير معه، ثم طلب منهم إسحاق مبايعته خليفة للمسلمين، فقالوا سمعا وطاعة، لا يتوقف احد منا عن ذلك،

وكانت هذه البيعة يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان عام اثنين وسبعين ومئة (6 فبراير 789 م) وكانت قبائل اوربة أولى المبايعين، وقد تنازل رئيسهم اسحاق لادريس عن منصبه الذي كان بمثابة الامارة عليهم، وانضمت لهذه القبائل الأَوْربية ذات العصبية العظيمة قبائل زناتة وزواغة وزواوة ولماية وسدراتة وغياثة ونفزة ومكناسة وغمارة. ١

لقد توطد الأمر لادريس إذن، وأصبح الامام القائم بالمغرب المطاع بين قبائله المالك لعصبيته من القبائل، إلى قوة الدين الذي يزيد في ثبات رجاله واستقامة دعوته، وبدأت الوفود تفد اليه من سائر البلدان، ولم يبق له الا ان يتم ما جاء له من نشر الدعوة الاسلامية وإتمام ماقصد إليه من إحياء السنة

وإماتة البدعة في المغرب اولا، ثم في غيره من الجهات الاسلامية ثانيا، وفي عدد مقبل سنتحدث عن ما قام به المولى ادريس وما تم له باذن الله.

# إدريس الأكبر فاتح المغرب

الدكتور
عبد الهادي التازي

# ادريس الأكبر، فاتح المغرب

## وثيقة تاريخية عن دعوته لم تنشر، ولم تعرف لدى الذين كتبوا عنه من المغاربة

### الدكتور عبد الهادي التازي

نشرت تحت هذا العنوان كل من مجلة (التضامن) و(الوثائق) دراسة للاستاذ علال الفاسي وعد القراء في نهايتها بالحديث عن تحركات الامام ادريس بن عبد الله خارج الساحة المغربية من أجل استرجاع الخلافة للعلويين وقد شاءت الاقدار ان تستاثر بروح الفقيد الجليل قبل أن يتمكن من تزويدنا بما به وعد، فلله ما أعطى وله ما أخذ

ومعلوم أن الاستاذ علال كان في دراسته كشف عن وثيقة تتعلق بالامام ادريس الذي كان يدعو في بداية مقامه بطنجة الى أخيه الامام يحيى والذي لم يلبث ــ بعد أن بلغته الاخبار عن تصفية أخيه من طرف هرون الرشيد ــ أن أخذ يدعو لنفسه متصلا بمختلف الجهات بما فيها وليلي التي استقبلته في النهاية وبايعته على اساس ما جاء في الوثيقة

لقد كان الوعد الذي قطعه الاستاذ الراحل على نفسه محور حديث جرى بينه وبينى اثناء زيارته الاخيرة لبغداد أوائل 1972 وصادف أننى كنت حديث الحصول على وثيقة تتعلق

برسالة بعث بها الامام إدريس بن عبد الله الى أهل مصر يدعوهم فيها الى الالتفاف حول آل البيت رضوان الله عليهم حصلت عليها ضمن مخطوطة بميلانو (مكتبة أمبروزيانا) بمساعدة السفارة الأيطالية في العاصمة العراقية

وقد أعرب لى رحمه الله عن رغبته في الحصول على صورة للورقات التي يتضمنها المخطوط الذي لم يكن غير الجزء الثاني من سيرة الامام المؤيد بالله محمد بن القاسم (من أيمة اليمن) ذاكرا أنه بحاجة إليها في البحث الذي يعده — رغم مشاغله وحالته الصحية — حول المولى ادريس غير أنه — وقد علم انني أحرر آنذاك القسم الخاص بالعلاقات الخارجية للدولة الادريسية من (تاريخ المغرب الدبلوماسي) سمح لي بتأجيل استعارتها اياه

وعند عودتي للمغرب أطلعنى على الوثيقة التي كان يعتزم نشرها، مجددا رغبته في الحصول على نص ما كان رآه ببغداد، وهكذا أعرتها له يوم 27 — 3 — 74 الى أن كانت ليلة سفره الاخير الذي استشهد فيه حيث اعاد ماكنت أعرته مؤكدا انه قام بتصويرها وانه سيتحدث عنها في مقال لاحق

وما أشك أنها كانت في طريقها للنشر من جانبه، وأنها كانت ضمن ما وعد به ولهذا فاني أقدمها اليوم للقراء محاولا أن أرضى نفسه الطويل — رحمه الله — في البحث العلمى ورغبته في اطلاع جمهور القراء عليها .

وسوف لا أتحدث هنا عن الصلات التي استطاع الامام ادريس أن يربطها سواء مع الامارات المجاورة لمملكته، أو بالعبيديين بافريقية والامويين بالاندلس، ولكني سأكتفي بما يتعلق بعلاقاته مع العباسيين ببغداد وبطموحه رضى الله عنه الى كسب أهل مصر وخطابه اليهم في هاتيك العصور من غير أن يقيم وزنا للخطر الذي كان يهدده من العباسيين في بغداد وبالرغم أيضا من الاخبار التي وصلت عن انتقام أولئك من أخيه الامام يحيى بن عبد الله بعد أن كانوا زودوه بتأمين يتضمن عدم العدوان عليه على ما ذكر

وقد ورد الخطاب المشار اليه ضمن رسالة مطولة وجهها المؤيد بالله محمد بن القاسم (ت 1054-1644)[1] امام اليمن الى المغرب الاقصى عندما احتدت الازمة الداخلية ببلاد المغرب في أعقاب وفاة المنصور السعدي وتفرق بنيه وظهور بعض الزعامات وبخاصة عندما اشتدت أطماع أتراك الجزائر في الاستيلاء على المغرب عبر الخلافات الناشبة بين القادة الظاهرين الذين كان فيهم من ينتمي بدوره الى العترة النبوية مما كان يهدد بخروج الحكم من يد آل البيت الشريف أيام السلطان محمد

(1) هو محمد بن القاسم بن محمد بن علي كان عظيم السلطان في بلاد اليمن وقد قام بعد وفاة أبيه سنة 1029 وانقدت له الديار الرومانية كان عالما متفننا وفي ايامه وبمساعدة أخيه المولى الحسن اضطر الترك للخروج من اليمن كله عام 1035-1045 وقد توفي عام 1054-1644 القاضي الشماحي : تاريخ اليمن ص 144

الشيخ الاصغر، أواسط ذي القعدة 1048 = مارس 1639

ففي هذه الظروف وصل «السيد الجليل العالم النبيل الطاهر بن عبد الله الادريسي» وكان العلامة هاشم بن حازم ابن أبي نمي[2] وجده (زبيد) سائحا وعليه أسمال في هيئة السؤال، وعرفه وعرف علمه ومنصبه الشريف فرفع قدره وطالع فيه مولانا الحسن أخا المؤيد بالله محمد بن القاسم فاستدعى ذلك وصول مولاي الطاهر الى مقامه وعرف ما عنده من فنون العلم وأنه من أهل بيت ملك، وأخبره أنه خرج خائفا من ابن عمه ملك البلاد، فقربه كثيرا وأقام عنده أياما وأعطاه ما يجل ويعظم من الخيل والخلع النفسية والنقود الكثيرة على أنواعها وأرسله مع بعض خواصه الى الامام المؤيد، وقد أخبر المرافقون للزائر المغربي أنهم رأوا فيه أثناء الطريق ما يدل على أنه من الامراء وأكابرهم، ومن أهل الهمم العلية وقد مكنه الاجتماع بالامام من التعرف بالحالة في المغرب وأعطاه الامام عطاء جزلا وكتب معه دعوة الى المغرب الاقصى، وأخبر بعض أصحاب مولانا الحسن أنه سمع الزائر المغربي يخوض معه في الدعوة لنفسه في المغرب كما سمع مثل هذا الكلام عن عدد من الناس ويذكر المصدر الذي نقل هذا الكلام أنه لا يدري بعدما حصل. وهل ان الامر تم للامير المغربي المذكور أم لا ؟

(2) أسرة ابن نمي مشهورة وقد حكم عدد منها الحرمين على ما هو معلوم ولم أعثر على ترجمة خاصة لهاشم هذا حفيد ابن ابي نمي

وبعد هذا يأتى المخطوط بنص الدعوة والرسالة التى وجهها الامام المؤيد محمد بن القاسم الى المسمى الطاهر بن عبد الله الادريسى باعتباره أحد أبناء الرسول المستحقين دون غيرهم لتولى الحكم

وفى أثناء هذه ــ الرسالة الدعوة ــ يستطرد الامام المؤيد بالله بالاتيان بالنص الكامل للرسالة التى كان الامام ادريس الاكبر بعث بها الى أهل مصر، وهذا بيت القصيد، وأريد قبل أن أستعرض نص الرسالة المشار اليها أن أبادر الى القول بأنها هي عينها مضمون القسم الثاني من مقال الاستاذ علال الذي يبحث عنه الاستاذ عبد الوهاب بن منصور، وأنها في نفسها الوثيقة التى تحمل رقم 5 في العدد الاول من مجلة (الوثائق) الغراء

ان الذين يتتبعون تنقل الامام ادريس من المشرق في أعقاب وقعة فخ، ويتتبعون الى جانب ذلك كيف أن هذا الرجل استطاع أن يؤسس في المغرب الاقصى نواة لاول دولة مستقلة ليدركون مدى التخوف الذي كان يساور العباسيين من أمر افلاته أولا ثم من أمر نجاحه في التفاف الناس حوله خمس سنوات فقط بعد وقعة فخ استطاع فيها هذا اللاجىء السياسي أن ينجح، بمساعدة السكان، في انشاء خلافة مستقلة عن المشرق تأخذ طريقها في اتجاه مصر !

لقد، فقدت الخلافة بالامس ولاية الاندلس عندما استطاع عبد الرحمن بن معاوية بن هشام أن يفلت من تعقب

العباسيين ويلتجيء الى هذا المغرب الاقصى سنة 136-753 ثم يعبر منه المتوسط[3] ليكون لهِ في شبه الجزيرة الاندلسية دولة مستقلة ! لكن ذلك تم في ظروف قلقة كان فيها العباسيون في حالة سطو على كيان بنى أميةِ، وأما افلات ادريس فقد تم في عز الدولة واستقرارها !أما ادريس فهو من آل الامام علي، ولابد أن كسبه سيفوق كل تصور

ولاشك أن الذي زاد في قلق الخليفة هرون الرشيد وتخوفه ما بلغه عن طريق رجال أخباره من أصداء الرسالة التى بعث بها الامام ادريس، مع وفادة سرية، الى أهل مصر يذكرهم فيها بفضائل أهل البيت ويصف فيها التضحيات الغالية التى بذلوها في سبيل حقهم الشرعى ويطالبهم بتأييده ومساندته لقد اقتنع الخليفة الرشيد بأن الادارسة لا يفكرون فقط في فصل المغرب عن دار الخلافة الاسلامية والاكتفاء بزعامته، وانما كانوا يخططون لتوحيد الخلافة كلها تحت قيادتهم !

(3) التجأ عبد الرحمن الذي لقب بالداخل، الى المغرب الاقصى واقام حزبا بقبيلة مغيلة مختفيا عند شيخ من شيوخ البربر يدعى وانسوس، ثم نزل عند قوم من زناتة على شاطىء البحر المتوسط ولحق بمليلية وغيرها وفي اواخر 136-753 بعث رسوله (بدر) الى الاندلس للاتصال بانصار بنى امية وقد نجح (بدر) في مهمته وعاد يحمل البشرى لعبد الرحمن الذى عبر البحر في ربيع الآخر 138-755 ومن ساحل غساسة الى البيرة ALVIRA حيث امسى سيد الاندلس لبيان المغرب ج 45،2 — نفح الطيب 64،2.

ايها الناس ان الله بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة وخصه
بالرسالة وحباه بالوحي فصدع بامر الله واثبت حجته واظهر دعوته
وان الله جعل شأنه وخصنا بولادته وجعل فينا ميراثه ووعده فينا وعدا
سيفي له فقبضه اليه محمودا لا حجة لاحد على الله ولا على رسوله
صلى الله عليه وآله وسلم فلله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم اجمعين فلم ازل اجل
شأوه باحسن الخلف فمدانا بنعمته صغارا واكرمنا بطاعته كبارا و
جعلنا الدعاة الى العدل القائمين بالقسط المجانبين للظلم ولم نزل ازمع
الجور ... فينا من نصحنا امينا والداعي الى سبيله باجل شأوه فكان
ما حل بهم امنوفينا ان سفكوا دماءنا فانتهكوا حرمتنا وابتزوا صغيرنا
وقتلوا كبيرنا واثكلوا نساءنا وحملونا على الخشب منها دونا وسبونا على
الاقتاب فلم يكن لم يضعف بل نزيد ذلك تحفزا من اجل شأوه وكرامه
اكرمنا بها فمضت بذلك الدهور واستملت عليه الامور ومن فينا
عليه الصغير وهرم عليه الكبير في كلام طويل ذكره عليه السلام واشار اليهم
ايضا ابن اخيه النفس الزكية الطاهر الحسن بن ابراهيم في دعوته اذ يقول
بسم الله الرحمن الرحيم من آل ياسين الى جماعة المسلمين سلام
عليكم اما بعد فلولا اعتبارنا بابينا وحفظنا لاولنا وتمسكنا بوصية
نبينا صلى الله عليه وسلم والقيام بامر الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والدعاء الى سبيل الحق اذ عصي الله في الارض وحكم في عباده بغير كتابه
وسنة نبيه ما خرجنا نتزى بعضنا على اثر بعض على اي حين وفي اي زمان
على حين من الناس وشدة من الامر وقلة من العدد على كثرة من العدو
وحق لان من الناس من دعوا اخرجنا الى دعوة ولنا نقتدي حين امسنا
شرعنا الى الله وقدمنا في سبيله وحججا على خلقه ونعلم بنهوضنا لم ينظر
الى كثرة عدونا وقلة من تبعنا صبروا عند اللقاء صبرا عند الموت لا

صابر

اللوحة 72 حرف من المخطوطة اليمنية التي حصل عليها الايطاليون أثناء اتصالهم باليمن والتي زودني بها في بغداد السنيور اريسطو بيرنارديني **Birnardini**

لقد كان الامام بعث ادريس فعلا الى مصر[4] برسالة يقول فيها داعيا الى الالتفاف حول أهل البيت ما نصه

«بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فالحمد لله رب العالمين لا شريك له الحي القيوم، والسلام على جميع المرسلين وعلى من اتبعهم وآمن بهم أجمعين، أيها الناس ان الله بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة، وخصه بالرسالة وحباه بالوحي، فصدع بأمر الله وأثبت محبته وأظهر دعوته وان الله جل ثناؤه خصنا بولايته وجعل فينا ميراثه ووعده فينا وعدا سعى له به، فقبضه اليه محمودا لا حجة لاحد على الله ولا على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فلله الحجة البالغة، فلو شاء، لهداكم أجمعين فخلفه الله جل ثناؤه بأحسن الخلافة، وغذانا بنعمته صغارا وأكرمنا بطاعته كبارا وجعلنا الدعاة إلى العدل، القائمين بالقسط، المجانبين للظلم، و لم نمل، اذ وقع الجور طرفة عين عن نصحنا أمتنا والدعاء الى سبيل ربنا جل ثناؤه، فكان مما خلفته أمته فينا أن سفكوا دماءنا وانتهكوا حرمتنا وأيتموا صغيرنا وقتلوا كبيرنا واثكلوا نساءنا حملونا على الخشب وتهادوا.رؤسنا على الاطباق فلم نكل و لم نضعف بل نرى ذلك

(4) يظهر ان الرسالة بعثت عند معبره الى تلمسان سنة 174=790، للشخصية التى كان الامام تعرف عليها وهو في طريقه من الشرق الى بلاد المغرب ولعلها السيد المصرى الذي تعرف على ادريس وراشد واضافهما عنده ورافقهما الى برقة، ولا يبعد ايضا ان تكون موجهة الى علي بن سليمان الهاشمي الذي كان تستر على الامام ادريس ومولاه راشد ورفيقهما، ابن ابي زرع روض القرطاس .

تحفة من ربنا جل ثناؤه وكرامة أكرمنا بها، فمضت بذلك الدهور، واستملت عليه الأمور وربيٌّ منا عليه الصغير وهرم عليه الكبير (5)

## رسالة ادريس وهارون الرشيد

وقبل أن نعرض للرسالة اليمنية الى أهل المغرب نشير اشارة خاطفة للآثار التى خلفتها الاخبار التى وصلت الى بلاط بغداد عن هذه الرسالة

لقد تحدث المؤرخون عن هلع الرشيد من بيعة أهل تلمسان للامام ادريس مرددين القولة المأثورة التى ترددت في بلاط بغداد «ان من دخل الباب لابد أن يصل الى ما وراء الباب» ولكنهم أي المؤرخين غفلوا عما تقتضيه الرسالة الادريسية من وصول ادريس فعلا الى مصر التى لا تبعد عن بغداد

واعتقد أن الوشاية التى وصلت بادريس من مصر هي التى عجلت بتنفيذ ذلك الهاجس الاسود الذي خطر على بال جعفر البرمكى والمتلخص في انفاذ جرير بن سليمان الشماخ

(5) الجزء الثاني من سيرة الامام المؤيد بالله محمد القاسم، المشار اليه في صلب المقال ــ دكتور احمد مختار العبادي المغرب والوحدة الاسلامية المحاضرة الاولى في حفل افتتاح السنة الاكاديمية لجامعة محمد الخامس الرباط يوم 20 اكتوبر 1961 ــ مجلة التربية للوطنية، الرباط، مجلة تطوان وقد ذكر الدكتور العبادي أنه عثر على الوثيقة بفضل افادة الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني رئيس قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط

الزيدي لاغتيال الامام ادريس على نحو ما تم بالنسبة لاخيه يحيى بن عبد الله بالمشرق

ان الرسالة العباسية في بغداد لم تستفد من الخطأ الذي وقعت فيه الخلافة الاموية في دمشق عندما كان ولاتها على المغرب يعاملون السكان على نحو من القهر والقمع والكبرياء الامر الذي ادى الى اعلان التمرد على حكام دمشق وانشاء دولة مغربية تقوم على مذهب جديد

كان على بغداد أن تدرك أسباب ذلك التمرد بل وتدرك معه الفرق بين ذلك الانفصال الخطير الذي ذهب الى حد اضطهاد العروبة وبين هذا الاستقلال الذي كان يهدف لحماية العروبة ويعمل على صهر المغرب في مجتمع اسلامي سليم

اننا نعتقد انه لولا ذلك «الهاجس الاسود» لكتب الناس التاريخ الاسلامي بطريقة غير التى كتبوها به على ذلك العهد، ومع ذلك فقد أبى القدر الا أن يفسد خطط الرشيد بميلاد ادريس الثانى الذي أرسى قواعد الدولة بما قام به طيلة حياته من أعمال ومنجزات بالرغم من أن بنيه من بعده اختلفوا على أمرهم، ويكفي أن نردد هنا عاصمته فاس المدينة التى يقترن اسمها باسمه، ويكفي أيضا أن نعلم حديث بعض المؤرخين عن سفارة من فاس تصل الى شارلمان لمزاحمة سفارة بغداد لديه

٣٠

البعيد والقريب حكمه وكل من بلغته من الامة جعل رتوبها من الاضلال في
في الدين عاصمة ولم نزل نعمل النظر في تبليغها اليكم واقامة حجة الله بها
عليكم وان كان قد بلغتكم في الجملة ولم يحب الاعلاء الله بها كلمة الحق في جميع
اهل هذه القبلة الى ان اتصل بنا السيد الجليل الاوحد النبيل واسطة
عقد السادة ودرة تاج الشرف والمجادة الطاهر بن هبة الله رعاه الله تعالى
فامرناكم باستفراقها فانكم ان شاء الله احق من قام بحقها وشرفها من
هلا فيها لما احلكم اسوة شرف البيت وكرم الابوة والتمسك فيها بما ياتون
وتقدمون ان شاء الله تعالى بسلفكم من اهل بيت النبوة ومن احق منكم
بذلك واباؤكم هم الذين شادوا الجهاد بنيته ومضوا في امر الله ليبلغوا
حجته ما وهنوا في امر الله ولا لانوا بل كانوا كمن ضرب الله مثلهم من ابائهم
النبي عليه السلام في قوله (وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا
لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا) والا فاين جدكم علي الله
الكامل بن الحسن الرضي شيخ المسلمين وابن المؤمنين وابن سيد النبيين
واخوتنا الاطاهر الاطايب من سبطات ال الحسن الذين لما نظر اليهم
جعفر الصادق وقد امر حملوا الى المدينة هملت عيناه حتى جرت دموعه
على لحيته ثم قال لابن عمه الحسين بن زيد بن علي عليهم السلام والله لا تحفظ
لله حرمة بعد هذا ابدا واين ابناؤه سادة الدنيا وزينة الاحيا؟
ابن محمد بن عبد الله النفس الزكية ابن ابرهيم بن عبد الله النفس الرضية
ابن يحيى بن عبد الله النفس النقية ابن ادريس بن عبد الله المحضة
النقية وغيرهم من اهل بيتهم الذين اشار اليهم جدكم الامام الاعظم
ادريس بن عبد الله سلام الله عليه في رسالته الى اهل مصر اذ يقول
بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فالحمد لله رب العالمين لا شريك له
الحي القيوم والسلام على جميع المرسلين وعلى من اتبعهم فاني بهما اجمعين

اللوحة 72 حرف ( ب ) من مخطوطة المجلد الثاني من سيرة الامام المؤيد بالله
مكتبة امبروزيانا ( ميلانو وهي تحمل رقم 115

## الرسالة اليمنية

لابد ونحن نعيد الى الذاكرة أن خطاب الامام ادريس ورد ضمن الدعوة التى وجهها المؤيد بالله الى أهل المغرب أن نتساءل عن محتوى الرسالة اليمنية ؟

ان الرسالة بعد أن تذكر الجهة التى أرسلتها تذكر ان «كتابنا هذا الى اخواننا وبنى أبينا صفوة العترة وخير الاسرة واخوانهم وبنى عمهم من آل الامام الاعظم ادريس بن عبد الله ومن يتصل بهم من المسلمين قمنا لله داعين وبأمره في عباده معلنين ولم نزل نعمل النظر في تبليغها اليكم واقامة حجة الله بها عليكم الى ان اتصل بنا السيد الجليل الاوجد النبيل واسطة عقد السادة ودرة تاج الشرف والمجادلة الطاهر بن عبد الله رعاه الله تعالى فأخبرنا عنكم وانكم ان شاء الله أحق من قام لله بحقها والتمسك فيما تأتون وتذرون بسلفكم من أهل بيت النبوة، ومن أحق منكم بذلك وأباؤكم الذين ساروا للجهاد بنيته ومضوا في أمر الله ليبلغوا حجته فما ونوا في أمر الله بل كانوا كمن ضرب الله لهم مثلا من آبائهم النبيئين والمرسلين في قوله فكأي من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، والا فأين جدكم عبد الله الكامل بن الحسن الرضى شيخ المسلمين ورائد المؤمنين وابن سيد النبيئين واخوته الاطاهر الاطايب وأين أبناؤه سادة الدنيا وزينة الاحياء ؟ اين محمد بن عبد الله النفس

الزكية، أين ابراهيم بن عبد الله النفس الرضية، ابن يحيى بن عبد الله النفس النقية، أين ادريس بن عبد الله البضعة التقية وغيرهم من أهل بنيهم الذين أشار اليهم جدكم الامام الاعظم ادريس بن عبد الله سلام الله عليه في رسالته الى أهل مصر اذ يقول بسم الله الرحمن الرحيم الى آخر الرسالة التى أوردنا نصها وبعد هذا تورد الرسالة اليمنية أيضا نص رسالة أخرى من ابن أخيه التقى النقى الطاهر الحسن بن ابراهيم موجهة الى جماعة المسلمين يشير فيها أيضا لمكان أهل البيت ويتخلص المؤيد بالله من نص الرسالتين، الادريسية والحسنية الى قوله «نعم فكتبنا اليكم دعوتنا هذه داعية الى مثل ما دعا الله سلفنا وسلفكم وآباؤنا وآباؤكم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والدخول مع جماعة اخوانكم من أهل البيت واتباعهم من المؤمنين فيما دخلوا فيه من الاجابة. وأمرنا السيد الجليل الطاهر بن عبد الله ان يبلغها ان شاء الله اليكم ويأخذ عهد الله فيها عليكم ويقوم فيكم ان شاء الله بأحكامها ويستعين بعد الله بكم على نشر أعلامها بما يطابق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وتختم الرسالة بالآية الشريفة «قل هذه سبيلى ادعو الى الله. على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين» وتزيد تدقيقا فتذكر التاريخ والمكان الذي حررت فيه على النحو التالى «بتاريخ العشر الوسطى من ذي القعدة

عام ثماني وأربعين وألف بدرب الامير من وادي أقر من بطنة جحور وأعمال محروس شهارة[6]

## تأملات في هذه الوثيقة

نلاحظ بادىء ذي بدء أن الوقت الذي اختبر لهذا اللقاء بين شخصية تنتمي لآل البيت في المغرب وأخرى تنتمي لنفس البيت في المشرق كان يتفق مع تطلعات أتراك الجزائر لضرب وحدة المغرب سواء بطريق التآمر والغدر أو طريق عقد الاحلاف مع العناصر الانفصالية التي كانت لا تتردد في مد يدها إلى إسبانيا أو إنجلترا أو هولاندا على ما هو معروف في تاريخ المغرب السياسي على هذه الفترة التي أمسى فيها المغرب ستة مغارب.. وأن إشراف اليمن الذين خبروا الأتراك وتمكنوا أخيرا من إجلائهم عن البلاد عام 1045 = 1635 كانوا أكثر إدراكا من غيرهم لتخوفات المغرب من أن يفلت الحكم فيه إلى من هو غير مؤهل في نظرهم على الأقل، وقد أعجزنا البحث عن هوية الزائر المغربي لبلاد اليمن على ذلك العهد الطهر بن عبد الله وهل له صلة بأمير فاس عبد الله بن محمد الشيخ الذي له آثار بصحن جامع القرويين بالرغم من أن السعديين ليسوا أدارسة ؟

(6) (شهارة) مكان دعوة القاسم بن محمد حرث وقعت معركة شهيرة بين الأتراك واليمن اليمن عبر التاريخ ص 246-265.

ان المعروف في التاريخ أن المغرب كان يعيش في هذه الفترة حقبة جد صعبة، فقد كانت البلاد موزعة في شبه ملوك الطوائف محمد الشيخ الاصغر بن زيدان يحكم طرفا من البلاد والشيخ العياشي يستأثر بطرف آخر منها والموريسكيون ينحازون تارة الى أتراك الجزائر وأخرى الى الاسبان لتفشيل حركة الجهاد والمقاومة وذلك من أجل السيطرة على الحكم، وبين هذا وذاك ظهرت زعامات أخرى من أجل المساومة

لكنى على ظن من أن ذلك التحذير وصل الى بلاد المغرب وانه كان من أسباب تدارك الامر من قبل سيدي محمد بن الشريف (محمد الاول) أول ملوك الدولة العلوية الشريفة الذي ظهر في نفس التاريخ الذي حملت فيه الرسالة الى الديار المغربية

ونتسائل هنا بهذا الصدد عن السر الذي يختفي وراء تذكر الملوك العلويين باستمرار لاشراف اليمن بالصلات السنوية التى كانت تنفذ اليهم كل سنة عن طريق ركب الحاج فان الامر لا يتعلق فقط بمواساة تقتضيها الاصول الاسلامية سيما مع وجود مواطنين مغاربة من أصل يمني على هذا العهد ولكن أيضا بتعاطف سياسي يستهدف ابعاد المتسلطين على الحكم

ولابد من الاشارة هنا الى ما حمله تقرير سري رفعه الى الباب العالى أحد السفراء العثمانيين اسماعيل أفندي يقول فيه : ان العلويين لا ينظرون بعين الرضا لحكم الترك وأن لهم

قلوبا تهفوا اليهم في الجزيرة العربية وعبر أقطار الشمال الافريقي قاطبة ولذلك فان ما يتدرع به العلويين من مطالبتهم المستمرة برفع القيد التركي عن الجزائر انما يقصدون به الى اقصائنا والاحتفاظ بتلك الايالات عربية القلب وللسان»

وبعد فاذا كانت الوثيقة التى كشف عنها الاستاذ علال قد أعطت الدليل على ما كان يهدف اليه الامام ادريس من اعادة الامور الى نصابها في ذلك العصر المبكر، فان هذه الوثيقة تؤيد هي الاخرى أن القضية ظلت مشغلة آل البيت الى العصور المتأخرة لا فرق في ذلك بين من تواجد منهم في أقصى المشرق أو أقصى المغرب

ان التاريخ الدولى للمغرب ملىء وحافل حتى ليعتبر في نظرنا أكثر الدول أصالة وأقواها صلة بالاحداث العالمية في سائر مراحل تاريخه وان صلابة عوده في النضال وتحدي التسلط ظلت ملحمة مشرقة لدى أصحاب الرواية والدراية

# الامــام إدريــس الأول

الأستــاذ
محمــد المنونـــي

# الامام ادريس الاول
## من خلال سيرته ولهداف دعوته

الاستاذ محمد المنوني

القصد بهذا العرض إلى الامام إدريس الأكبر بن عبد الله المحض بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن الخليفة علي بن أبي طالب.

ويعتبر المؤسس لأول دولة إسلامية بالمغرب، فيحدد مبادئها في رسالته التي خاطب بها الأمازيعيين المغاربة، حيث سيرد نصها عند الملحق الأول.

وهو يعزز هذه الدعوة بالعمل لتحقيقها، فيجاهد ضد الديانات والنحل المنحرفة، في شالة وتامسنا والأطلس المتوسط والمغرب الشرقي حتى تلمسان وما إليها، وذلك ما يسجله ابن خلدون[1]. وهو يتحدث عن المغرب الادريسي «محا جميع ما كان في نواحيه من بقايا الأديان والملل».

وبتحقيق هذا المكسب الاسلامي التف حول الدولة المغربية الجديدة جماهير الامازيغيين، فصار إدريس الأكبر يفكر في تحقيق مخطط دعوته، إمتدادا نحو افريقية الأغلبية ثم مصر، كبداية لتوحيد العالم الاسلامي تحت خلافة علوية بديلا عن

(1) «العبرة» دار الطباعة الخديوية بمصر 1284 هـ : 6 / 107.

العباسيين الذين انحرفوا عن المبادىء الاسلامية، فعن منطقة الأغالبة يقول ابن أبي زرع[2] «.. فاتصل بالرشيد أن إدريس قد استقام له أمر المغرب وأخبر بحربه وخاله وكثرة جنوده وشدته في الحرب، وأنه قد عزم على غزو إفريقية».

وبعد وفاة إدريس الأكبر يصمم مولاه راشد على تحقيق هذه الخطة، فيذكر عنه الرقيق[3]: «وكانت همته غزو إفريقية، لما هو فيه من القوة والكثرة».

وهي فقرة تؤكد استمرار قوة الدولة الادريسية في فترة وصاية راشد.

وبعد إفريقية الأغلبية نشير الى رسالة إدريس الأول إلى أهل مصر (الملحق الثاني). وهي ــ بدورها ــ تؤكد المخطط الادريسي لتأسيس دولة اسلامية كبرى، تنسخ دولة العباسيين بعد ما تنكروا للقيم المثلى، فيمتد التصميم الادريسي إلى مصر، حتى تكون منطلقا إلى ماوراءها، وهي حقيقة يستنتجها جوليان[4]، ويقدمها في الصيغة التالية «وقد يكون إدريس بيت النية ــ كما فعل الفاطميون فيما بعد ــ لجعل المغرب نقطة انطلاق لا سترجاع إرث آبائه».

---

(2) «روض القرطاس»، ط. ف. 1305 هـ : ص 8.

(3) «تاريخ إفريقية والمغرب» ط. تونس 1968 ص 214، ومثله عند ابن الآبار في «الحلة السيراء» الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة 100/1.

(4) «تاريخ افرقيا الشمالية» الترجمة العربية، الدار التونسية للنشر 1978/1398: 55/2.

ومن هنا يتبين أن إدريس الأول لم يكن همه اقتطاع جزء من أقاصي الدولة الاسلامية، وإنما كان المغرب ــ في تصميمه ــ قاعدة تبدأ منها ثورته ضد العباسيين المنحرفين، واستبدالهم بدولة إسلامية تلتزم المبادىء التي شرحها الميثاق الادريسي في شكل خطاب الامام العلوي إلى الأمازيغيين

**ــ أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ**

**ــ وإلى العدل في الرعية، والقسم بالسوية، ورفع المظالم، والأخذ بيد المظلوم**

**ــ وإحياء السنة وإماتة البدعة، وإنفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد**

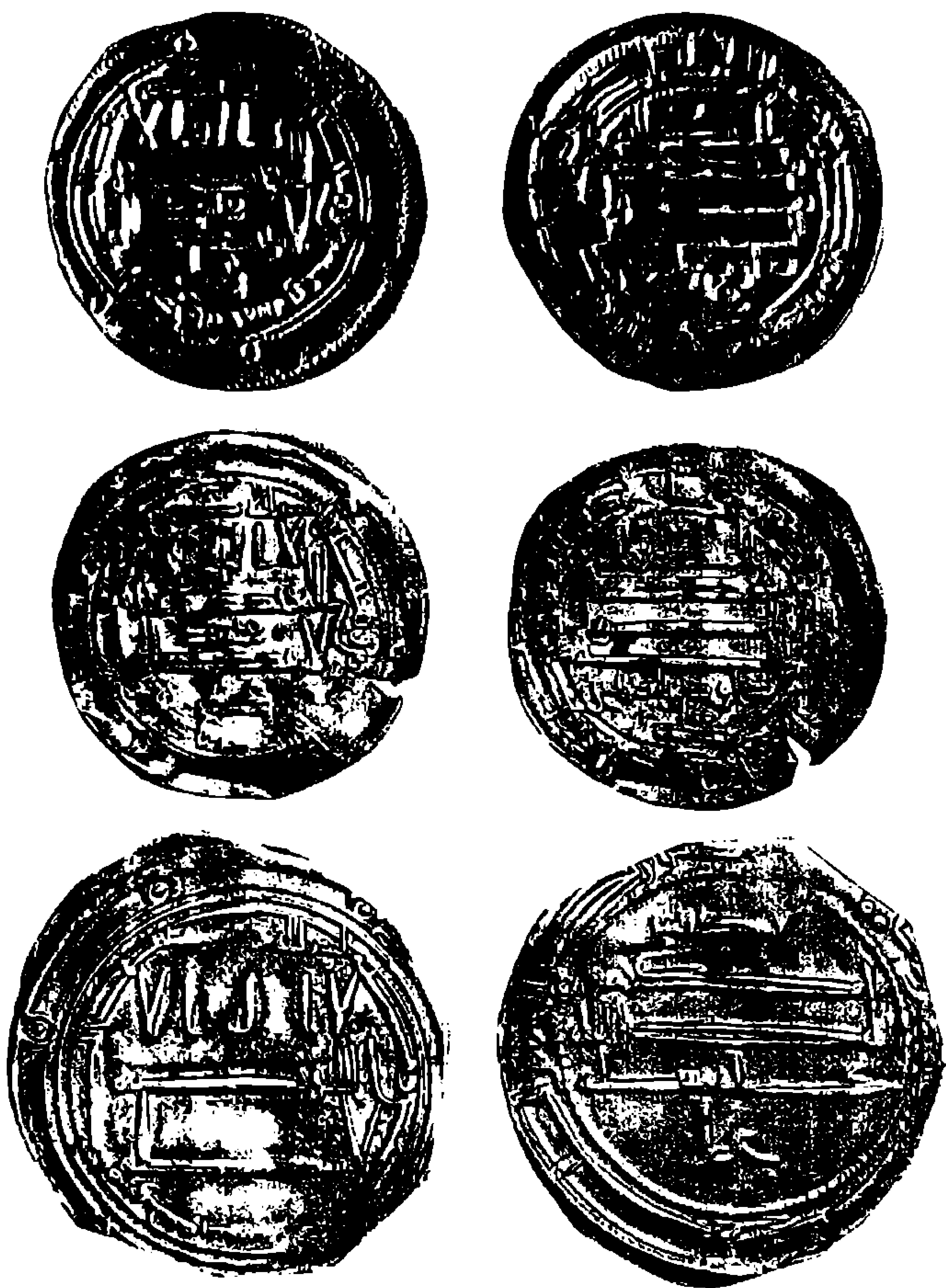
**ــ واعلموا ــ عباد الله ــ أن مما أوجب الله على أهل طاعته، المجاهرة لأهل عداوته ومعصيته باليد وباللسان ...»**[5]

وفي اتجاه آخر نستنتج من لغة هذه الرسالة ومعها الرسالة المصرية دورهما في وضع اللبنات الأولى لتعريب المغرب، وهي ظاهرة تعززها نقوش النقود الادريسية الأولى .[6]

---

(5) الملحق 2

(6) دنييل أوسطاش «الجامع في الدراهم الادريسية والدراهم المعاصرة لها» مطبعة المنشورات التقنية لشمالي أفريقية بالرباط 1970-1971 الدراهم أرقام 18-66 رقم 364-388 .



نماذج من النقود الإدريسية عن كتاب أوسطاش

بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما امر به ادريس
ابن عبد الله بن حسن
ابن الحسن بن علي بن ابي
طالب رضي الله عنهم
وذلك في شهر صفر
سنة اربع وسبعين ومائة

وثيقة تأسيس الأدارسة لمسجد تلمسان / نسخة خاصة

وتعززها — مرة أخرى — لغة الكتابة على منبر المسجد الذي ابتناه إدريس الأول بتلمسان، حيث يسجل ابن خلدون[7] أن هذه اللوحة استمرت حية حتى عصره، وكانت صيغتها هكذا

**«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، وذلك في شهر صفر، سنة أربع وسبعين ومائة»[8].**

وسنستفيد من هنا واحد من معماريات إدريس الأكبر، ويضاف له أكادير تلمسان[9]، ومسجد مدينة وليلي[10].

بقي أن نشير — ونحن لا نزال مع المولى إدريس الأكبر — الى علمه وأخلاقه، فيقول عنه الامام عبد الله بن حمزة في المرجع الشافي «وكان في نهاية العلم والورع، تلو اخيه (يحيى) في الفضل والزهد والسخاء والشجاعة والكرم، وكان حليف القرآن، حسن القراءة شجيها»[11]

وعن شجاعته يقول الرضا بن موسى الكاظم «إدريس

---

(7) العبر 13/4 -

(8) «روض القرطاس» ص 8، وقد استمرت بقايا منارة هذا المسجد حتى عام 1937.

(9) «تاريخ الجزائر العام» المطبعة العربية بالجزائر 1954/1373: 219/1.

(10) مذكور عند بعض المؤرخين لهذه الفترة.

(11) المولى ادريس الاكبر بقلم الأستاذ المرحوم علال الفاسي، مجلة «التضامن» العدد الثالث ذو الحجة 1393 / فبراير 1974 ص 13.

ابن عبد الله من شجعان أهل البيت، والله ما ترك فينا مثله»[12].

وهذا داود بن القسم الجعفري يترك عنه الارتسامة التالية «... وكنت معه بالمغرب، فما رأيت أشجع منه ولا أحسن وجها»[13].

ثم كانت شفرته بالشجاعة من أسباب نجاح دعوته بالمغرب، فيذكر عنه في المرجع الشافي «ولما دعا في المغرب عرفه رجال من أهل المغرب حجوا سنة قتل الفخي عليه السلام، فقالوا نعم، هذا إدريس، رأيناه يقاتل وقد انصبغ قميصه دما، فقلنا من هذا ؟ فقالوا إدريس بن عبد الله[14].

والى هذا كان الامام العلوي يتوفر على ثقافة أدبية رفيعة، وذلك ما يستنتج من أسلوب رسالته الى المغاربة، ثم رسالته إلى أهل مصر، حيث تبينا أنهما — معا — موضوع الملحقين 2,1.

وإلى هذين النموذجين من النثر توجد من شعره قطعة من أربعة أبيات تدل على شاعريته، وقد أوردها الصفدي عند

---

(12) «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب» تأليف السيد احمد بن علي الداودي الحسني، منشورات دار مكتبة الحياة في بيروت ص 129-130.

(13) «المصدر» ص 129.

(14) «المصدر» المشار له عند التعليق رقم 11 ص 13

ترجمته[15]، كما ترجمه ابن الآبار في «الحلة السيراء»[16] كأحد الأمراء الشعراء.

اخيرا نختم هذا العرض بفقرة لأبن عذاري :[17] «وفي سنة 172 اجتمعت القبائل على ادريس بن عبد الله من كل جهة ومكان، فأطاعوه وعظموه وقدموه على انفسهم، وأقاموا معه مغتبطين بطاعته، ومتشرفين بخدمته طول حياته، وكان رجلا صالحا، مالكا لشهوته، فاضلا في ذاته، مؤثرا للعدل، مقبلا على أعمال البر».

---

(15) «الوافي بالوفيات 318/8— 319 . الترجمة رقم 3743.

(16) ط. الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة 53-50/1

(17) «البيان المغرب ..» دار الثقافة بيروت : 83/1 - 84

# الملحق الاول

## أهداف دعوة الامام إدريس الاكبر في خطاب يوجهه إلى الأمازيغيين

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله الذي جعل النصر لمن أطاعه، وعاقبة السوء لمن عند.عنه، ولا اله الا الله المتفرد بالوحدانية، الدال على ذلك بما أظهر من عجيب حكمته، ولطف تدبيره، الذي لا يدرك إلا أعلامه، وﷺ على محمد عبده ورسوله. وخيرته من خلقه، أحبه واصطفاه، واختاره وارتضاه، صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين.

اما بعد فإني

1 ــ أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

ــ وإلى العدل في الرعية والقسم بالسوية، ورفع المظالم، والأخذ بيد المظلوم.

3 ــ وإحياء السنة، وإماتة البدعة، وإنفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد

4 ــ واذكروا الله في ملوك غيروا، وللأمان خفروا، وعهود الله وميثاقه نقضوا. ولبني بيته قتلوا.

5 ــ واذكركم الله في أرامل اجتقرت، وحدود عطلت، وفي دماء بغير حق سفكت.

6 ـــ فقد نبذوا الكتاب والاسلام، فلم يبق من الاسلام إلا إسمه، ولا من القرآن إلا رسمه.

7 ـــ واعلموا عباد الله أن مما أوجب الله على أهل طاعته،المهاجرة لأهل عداوته، باليد وباللسان

أ) فباللسان الدعاء الى الله بالموعظة الحسنة، والنصيحة والحض على طاعة الله، والتوبة بعد الانابة والاقلاع، والنزوع عما يكرهه الله، والتواصي بالحق الصدق، والصبر والرحمة والرفق، والتناهي عن معاصي الله كلها، والتعليم والتقديم لمن استجاب الله ورسوله حتى تنفذ بصائرهم وتكمل، وتجتمع كلمتهم وتنتظم

ب ) فإذا اجتمع منهم من يكون للفساد دافعا، وللظالمين مقاوما، وعلى البغي والعدوان قاهرا. أظهروا دعوتهم، وندبوا العباد الى طاعة ربهم، وادفعوا أهل الجور على ارتكاب ما حرم الله عليهم، وحالوا بين أهل المعاصي وبين العمل بها، فإن في معصية الله تلفا لمن ركبها، وإهلاكا لمن عمل بها.

ج) ولا يؤيسنكم من علو الحق واضطهاده قلة انصاره، فإن فيما بدا من وحدة النبي ﷺ والأنبياء الدعين الى الله قبله، وتكثيره إياهم بعد القلة، وإعزازهم بعد الذلة، دليلا بينا، وبرهانا واضحا، قال الله عز وجل ﴿**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة**﴾، وقال تعالى ﴿**ولنصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز**﴾، فنصر الله نبيه، وكثر جنده، وأظهر جزبه، وانجز

وعده، جزاء من الله سبحانه، وثوابا لفضله وصبره، وإيثاره طاعة ربه. ورأفته بعباده، ورحمته وحسن قيامه بالعدل والقسط، في تربية ومجاهدة أعدائهم، وزهده فيما زهده فيهم، ورغبته فيما يريده الله، ومواساته أصحابه، وسعة أخلاقه، كما أدبه الله، وأمر العباد باتباعه. وسلوك سليم والاقتداء لهدايته. واقتفاء أثره، فاذا فعلوا ذلك أنجز لهم ما وعدهم. كما قال عز وجل ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.

وقال تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾.

وقال ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾.

وكما مدحهم وأثنى عليهم، كما يقول ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون المعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله﴾.

وقال عز وجل ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾.

وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأضافه الى الايمان والاقرار لمعرفته، وأمر بالجهاد عليه، والدعاء اليه، قال تعالى ﴿قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق﴾.

وفرض قتال المعاندين على الحق، والمعتدين عليه وعلى من آمن به وصدق بكتابه، حتى يعود اليه ويفيء، كما فرض

قتال من كفر به وصد عنه حتى يومن به، ويعترف بشرائعه، قال تعالى **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا، إن الله يحب المقسطين﴾**.

هـ) فهذا عهد الله اليكم، وميثاقه عليكم، بالتعاون على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان، فرضا من الله واجبا، وحكما لازما، فأين عن الله تذهبون ؟ وأني توفكون ؟.

و) قد خانت جبابرة في الآفاق شرقا وغربا، واظهروا الفساد وامتلأت الارض ظلما وجورا، فليس للناس ملجأ ولا لهم عند أعدائهم حسن رجاء، فعسى أن تكونوا معاشر إخواننا من البربر، اليد الحاصدة للظلم والجور، وأنصار الكتاب والسنة، القائمين بحق المظلومين، من ذرية النبيئين، فكونوا عند الله بمنزلة من جاهد مع المرسلين، ونصر الله مع النبيئين

8 ــ واعلموا معاشر البربر أني أتيتكم وأنا المظلوم الملهوف، الطريد الشريد، الخائف الموتور الذي كثر واتره، وقل ناصره، وقتل إخوته، وأبوه وجده، وأهلوه، فاجيبوا داعي الله، فقد دعاكم الى الله، فان الله غز وجل يقول **﴿ومن لا يجب داعي الله ﴿فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء﴾**. أعاذنا الله واياكم من الضلال، وهدانا وأياكم الى سبيل الرشاد.

9 — وانا إدريس بن عبد الله، بن الحسن بن الحسن ابن علي، بن أبي طالب — عم رسول الله ﷺ. ورسول الله وعلى بن أبي طالب جداي، وحمزة سيد الشهداء. وجعفر الطيار في الجنة عماي، وخديجة الصديقة وفاطمة بنت أسد الشفيقة جدتاي، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت الحسين سيد ذراري النبيئين أمّاي، الحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ أبواي، ومحمد وابراهيم ابنا عبد الله المهدي الزاكي أخواي.

10 — هذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن أجابني فله مالي، وعليه ما علي، ومن أبى فحظه أخطاه، وسيري ذلك عالم الغيب والشهادة أني لم أسفك له دما، ولا استحللت محرما. ولا مالا، وأستشهدك يا أكبر الشاهدين، وأستشهد جبريل وميكائيل أني أول من أجاب وأناب، فلبيك اللهم لبيك مزجي السحاب، وهازم الاحزاب، مسير الجبال سرابا، بعد أن كانت صما صلابا، أسألك النصر لولد نبيك، إنك على كل شيء قدير، والسلام، وصلى لله على محمد وآله وسلم[16].

---

(18) أصل الخطاب في كتاب «المرجع الشافي»، وعنه نشره الاستاذ المرحوم علال الفاسي في مجلة «التضامن» بالعدد الثالث من السنة الأولى، سنة 1974/1393، ص 15-18.

# الملحق الثاني

## فقرات من خطاب الإمام إدريس الأكبر إلى أهل مصر

بسم الله الرحمن الرحيم.

أما بعد، فالحمد لله رب العالمين، لا شريك له الحي القيوم، والسلام على جميع المرسلين، وعلى من تبعهم وآمن بهم أجمعين.

أيها الناس، إن الله بعث نبيه محمدا ﷺ بالنبوة، وخصه بالرسالة، وحباه بالوحي، فصدع بأمر الله، وأثبت حجته وأظهر دعوته.

وإن الله — جل ثناؤه — خصنا بولادته، وجعل فينا ميراثه، ووعده فينا وعدا سيفي له به فقبضه إليه محمودا لا حجة لأحد على الله ولا على رسوله ﷺ، فلله الحجة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين.

فخلفه الله جل ثناؤه بأحسن الخلافة، غذانا بنعمته صغارا، وأكرمنا بطاعته كبارا، وجعلنا الدعاة الى العدل، القائمين بالقسط. المجانبين للظلم. و لم نمل — اذ وقع الجور — طرفة عين من نصحنا أمتنا، والدعاء الى سبيل ربنا جل ثناؤه.

فكان مما خلفته أمته فينا أن سفكوا دماءنا، وانتهكوا حرمتنا، وأيتموا صغيرنا، وقتلوا كبيرنا، وأثكلوا نساءنا،

وحملونا على الخشب. وتهادوا رؤوسنا على الأطباق، فلم نكل ولم نضعف، بل نرى ذلك تحفة من ربنا ــ جل ثناؤه ــ وكرامة أكرمنا بها، فمهضت بذلك الدهور، واشتملت عليه الأمور، وربي منا عليه الصغير، وهرم عليه الكبير»[19]

(19) «تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط». نشر دار الكتاب بالدار البيضاء سنة 1964، ص 18 تعليق.

# الامـــام إدريـــس

الأستـاذ
عبـد اللـه كنـون

# الامــام إدريــس

## الاستاذ عبد الله كنــون

كان العلويون ، وهم يحاربون بني أمية ، يحتجون بأنهم انتزعوا الخلافة منهم بغير حق ، وأن سبيلهم إليها كان هو القوة لاغير ، أما الاستحقاق الشرعي بطريق السابقة والأفضلية في الاسلام ، فهو لآل النبي من بني هاشم ، حتى لو لم نقل بالارث والوصية فلما قامت الدولة العباسية اعتبر العلويون أن بني عمهم خانوهم ، لأن الدعوة انما كانت للرضى من آل محمد ، وفعلا فقد كان أهل البيت النبوي اجتمعوا بالمدينة عند اختلال أمر مروان بن محمد ، آخر خليفة من بني أمية ، وبايعوا لمحمد الملقب بالنفس الزكية ، وهو ابن عبد الله الكامل بن الحسن المُثَنَّى بن الحسن السّبط بن علي بن أبي طالب ، وحضر البيعة أبو جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو الذي تولى الخلافة بعد ذلك باسم أبي جعفر المنصور

ولهذا لما خرج محمد النفس الزكية بالحجاز على المنصور ، احتج له الامامان مالك وأبو حنيفة وقالا ان امامته أصح من إمامة أبي جعفر ، حتى انهما أوذيا في ذلك ، وكان الامام مالك يُفْتي بأن طلاق المكره لا يجوز، مُورياً ببيعة الاكراه ، التي يأخذ العباسيون بها الناس ، وعلى ذلك تتابع

خروج العلويين حتى كانت وقعة فَخّ بالقرب من مكة ، سنة تسع وستين ومائة في أيام موسى الهادي العباسي ، وكانت الكرَّة فيها على العلويين ، فتفرقوا في الأمصار ، ومنهم ادريس بن عبد الله أخو محمد النفس الزكية ، الذي لجأ إلى المغرب

وقصة لجوئه هذا طريفة ، ولعلها من إيحاء مولاه راشد المغربي الأصل ، الذي لم ير لسيده أنجى من أن يُبْعِد في غَرْب البلاد الاسلامية حيث يأمن على نفسه ، ويُحتمل أن يجد المنعة والنصرة

وهكذا نرى ادريس قد لحق بمصر ومعه راشد مولاه ، فعلم صاحب البريد بأمره ، وهو يومئذ واضح المسكين مولى صالح بن المنصور ، ولما لم ير فيه خطرا وأنه انما يطلب النجاة من الموت ، حمله على البريد إلى المغرب الذي هو وِجْهتُه ، فلم ينته-حتى حل بمدينة وليلي سنة172[1] ونزل على اسحاق بن محمد بن عبد الحميد زعيم أوْرَبَة من قبائل المغرب التي يقال انها قبيلة راشد مولى ادريس ، فهذه خطة مُحكَمة دبرها المولى المُخلِص لنجاةه سيده والقيام بأمره، ولذلك قلنا إن قصة لجوء إدريس إلى المغرب ربما كانت من ايحاء مولاه

ويروي ابن أبي زرع حكاية أخرى في وصول ادريس الى مصر وكيفية خروجه منها ، وهي حكاية مؤثرة ، وان كان

(1) هي فلوبيليس Volubilis المدينة الرومانية الاثرية المسماة في لسان العامة قصر فرعون بقرب مدينة زرهون .

طابع الصنعة يلوح عليها واضحا وخلاصتها أن رجلا من أهل مصر ، من أهل اليسار استضاف ادريس بعد أن عرفه ، وأقام عنده أياما هو ومولاه راشد ، فنُذِر بهما الوالي ، فبعث الى الرجل يُحذره مغَبَّة ايواء الخارجين على الدولة ولكنه يؤمنه هو وضيْفه ، ويؤجل هذا الضيف ثلاثا ليغادر مصر ويتجه حيث شاء. فأعدَّ الرجل راحلتين له ولادريس وصنع زادا يبلغهما إلى افريقية ، وقال لراشد اخرج انت مع القافلة ، وأخرج أنا وادريس على طريق لا تسلكه الرفاق وموعدنا مدينة بَرْقَة وهناك ودَّعهما المصري ، وتوجه ادريس ومولاه الى القيروان فأقاما بها مدة ، ثم قصدا المغرب الأقصى ، وعمد راشد الى ادريس فألبسه مِدْرَعَة صوف خشنة وعمامة كذلك وصيَّره كالخادم له يأمره وينهاه خوفا عليه واحتياطا من عوده ، الأمر الذي يدل على تجدد الطلب في أثره ، فوصلا إلى مدينة تلمسان ، ومنها توجها الى طنجة وهي يومئذ قاعدة بلاد المغرب وأم مدنه ، فأقاما بها أياما ولما لم يجد ادريس بها مراده خرج مع مولاه حتى انتهيا الى وليلي فنزل على كبيرها ابن عبد الحميد الأوْرابي كما قلنا ، فأقبل عليه وبالغ في إكرامه وبِرّه ، وعرفه ادريس بشأنه وأفضى اليه بسره ، فوافقه على مراده ، وتولى خدمته والقيام بشؤونه

ولم يلبث ابن عبد الحميد أن جمع عشيرته من أوْرَبة وعرَّفهم بنسب ادريس وقرابته من النبي ( ص ) وقرر لهم

فضله ودينه وعلمه ، واجتماع خصال الخير فيه ، ودعاهم الى بيعته ، فبايعوه بمدينة وليلي يوم الجمعة 4 رمضان المعظم سنة 172 وكانت أوربة يومئذ من أعظم قبائل المغرب وأكثرها عددا ، فقامت بدعوة ادريس ودعت غيرها من القبائل المغربية الى نصرته والدخول في طاعته ، فاستجاب له أكثر القبائل ، وتواردت عليه الوفود مُعْلِنةً ببيعته مؤيدة له ، فقويت جموعه وتمكن سلطانه ، فجَيَّشَ الجيوش وخرج غازيا يضرب في بلاد المغرب طولا وعرضا ، ويملك منها مابقي غير خاضع له وكانت دعوة الاسلام ما زالت لم تتمكن في كثير من القبائل ، وبعض القبائل قد فتنتها دعوات الخوارج وأهل الابتداع ، فعمل ادريس على ابلاغ الدعوة الاسلامية خالصة من الزيغ والانحراف الى الجميع ، واستنقذ الذين استهوتهم البدع والاهواء من الضلال ، ووحد كلمة المغرب وقلوب أهله من يومئذ على مذهب السنة والجماعة ، فلم يمل عنه بعد ذلك حتى يوم الناس هذا

ولعلنا في غير حاجة الى القول بأن ما زعمه بعض المؤرخين من أن ابن عبد الحميد كان معتزليا شيعيا ، وأن أوربة قبيلته وجل قبائل المغرب كانت على مذهب الخوارج ، وأن ادريس وفق بين نزعات القوم وقوى الشيعية وأقام دولته على أساسها ، هو من الكلام الملقى على عواهنه والذي لا يثبت عند التحقيق ونعتقد أن الذي حملهم على ذلك هو مارأوه

من نجاح أمر ادريس وانتشار دعوته وتمهيد سلطانه ، فجعلوا كل من مر به أو لقيه ابتداءً من دخوله الى مصر ، شيعيا ينتصر لآل البيت ، حتى صاحب البريد بها ، وهو مولى للعباسيين ، وحتى كبير قبيلة أوْرَبة التي قامت بدعوته في المغرب ، كأنه لو لم يكن شيعيا لما قامت لادريس قائمة

والحق أن قضية ادريس ، وتَعْني قضية العلويين ، بملابساتها المأسوية وقوة حجتها وأهمية من يناصرونها من رجال العلم والدين كالامامين أبي حنيفة ومالك بن أنس ، هي في غنيَةٍ عن أن نلتمس لها الأسباب والعلل في شيعية كل من تطوع لخدمتها وتحمس لنصرتها أما خارجية القبائل المغربية فانها كانت فتنة كما عبرنا ، أكثر منها مذهبا ونزعة سياسية يأخذ بها المغاربة ، وإلا لما استطاع ادريس ان يحولهم في مدة قليلة من الخارجية الى الشيعية كما يزعم أولئك المؤرخون ، وهو الأمر الذي لم يحققه جده الأعلى علي بن أبي طالب والزعماء العلويون من بعده

وإذا ثبت التزيد في هذا القول وعدم صحته نظرا ، فإن الزعم بأن ادريس هو الذي تحول إلى مذهب أنصاره المغاربة كما ادعى البَكْري ، هو أكثر بطلانا وأبعد من التحقيق فإن ادريس كان من أئمة آل البيت وصاحب دعوة ، وعلما من أعلام الملة والدين ، وقد تحمل في سبيل ايمانه بدعوته ودعوة أسلافه ونجاحها أعظم التضحيات ، فكيف يتحول عنها إلى

ضدها في المكان الذي يأمل أن يبُثَّها فيه ، وتنتشر منه وكيف يكون تحوله على يد أناس سُذَّج قليلي المعرفة ، حديثي عهد بالاسلام لا جرم أن من زعم ذلك لم يقدر مهمة ادريس ، ولم يعرف ما كان عليه القوم من جاهلية جهلاء وبإجماع المؤرخين وتواتر الرواية على ألسنة الجماهير الشعبية من أهل المغرب يعتبر ادريس أحد الفاتحين الذين نشروا الاسلام في هذه البلاد ، ووطدوا سلطانه ورفعوا رايته ، كعقبة بن نافع وموسى بن نصير بل انه في الرواية الشعبية يعتبر الفاتح الوحيد ، وذلك قطعا لأنه هو الذي تمم عمل سابقيه وأخضع مابقي من قبائل المغرب خارجا على الطاعة وأدخلهم في حظيرة الاسلام وقطع دابر الكفر والضلال ، وجمع الشمل ورتق الفتق ، ودعم كيان الوطن فلم ينهر بعده أبدا

وبعد أن فرغ ادريس من تمهيد المغرب الأقصى ، توجه نحو مدينة تلمسان ، وهي باب المغرب الأوسط ، فخرج اليه واليها محمد بن خرز المغراوي مستأمنا ومبايعا له ، فدخلها ونظر في أحوالها ، وبنى بها مسجدا كبيرا ، ثم عاد إلى وليلي عاصمة مملكته حيث قدر له أن يموت مسموما بتدبير من هارون الرشيد فيما يقال ، لأنه لما بلغه خبره وتمكنه وظهوره وغزوه للمغرب الأوسط ، خشي من استفحال أمره وتملكه لافريقية وتهديده لدولته فلم ير وسيلة للتخلص منه الا أن يبعث

اليه من يحتال في الاتصال به واغتياله ، من غير أن يتورط معه في حرب لايدري ما تكون نتيجتها

وكانت وفاة ادريس بن عبد الله ، ويلقب بالأكبر ، في مهل ربيع الآخر سنة 177 ، فمدة امامته رحمه الله خمس سنوات وستة أشهر

وقد نشأت عن وفاته أزمة حكم حادة ، لو لم يدبرها راشد بحكمة وحسن نظر لكانت نهاية الدولة الادريسية يومئذ ، فإن ادريس لم يخلف عقبا غير حمل بجارية مغربية تسمى كَنْزَة ، وهي في الشهر السابع من حملها ، فجمع راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس وقال لهم إنكم قمتم بدعوة آل البيت ونصرتهم فإن رأيتم أن تتربصوا بهذه الجارية حتى تضع حملها فإن كان ذكرا أحسنا تربيته ، فإذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه وفاءً لوالده وتمسكا بدعوته ، وان كان انثى نظرتم لأنفسكم ، فاقتنعوا بكلامه وقالوا له مالنا محيد عن رأيك وحسن تدبيرك

وتولى راشد من يومئذ الوصاية على العرش ، ولم تلبث كنزة أن وضعت مولودا ذكرا أشبه الناس بأبيه ، وذلك في يوم الاثنين 3 رجب 177 أي بعد شهرين من حدوث الأزمة ، فأخرجه راشد الى الناس حتى نظروا إليه فقالوا هذا ادريس بعينه لم يمت ، فسماه راشد ادريس وسهر على تربيته وقام بأمره أحسن قيام

وظهرت نجابة ادريس منذ الصغر، فحفظ القرآن وهو ابن ثماني سنوات وتعلم الفقه والعربية، وروى الشعر وأيام العرب وسير الملوك، وتدرب على ركوب الخيل والرمي بالسهام وغير ذلك من مؤهلات الرياسة وخصال الملك، وأدركته نباهة أصله وكرم أبوته، فسرعان ما يفَعَ وترعرَعَ وأصبح مستعدا للاضطلاع بخلافة أبيه وتولي الأمر بنفسه، فاجتمع عليه القوم وبايعوه في مسجد وليلي يوم الجمعة غرة ربيع الأول عام ثمانية وثمانين ومائة وله من العمر احدى عشرة سنة

وقيل أن ابراهيم بن الأغلب والي افريقية دس إلى راشد من قتله فأسرع القوم إلى مبايعة ادريس اتقاء للفتنة، ومعاملة لابن الأغلب بنقيض قصده إذ كان يريد تفريق الكلمة وقطع دعوة الأدارسة

ولما تمت له البيعة صعد المنبر وخطب في الناس فقال

«الحمد لله أحمده، وأستغفره وأستعين به، وأتوكل عليه، وأعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر. وأشهد أن لا اله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، المبعوث إلى الثقلين بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا، صلى الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. أيها الناس أنا قد ولينا هذا الأمر، الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر، وللمسيء

الوِزْر ، ونحن والحمد لله على قصد جميل ، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا ، فإن الذي تطلبونه من إقامة الحق ، انما تجدونه عندنا» ، فعجب الناس من فصاحته وقوة جأشه وأيقنوا أنه أحق بها وأهلها

والحقيقة أن هذه الخطبة على قصرها تبين مدى فعالية التربية الحسنة التي قام بها راشد لادريس ، اعدادا للمهمة الكبرى التي تنتظره ، وتدل على بعد نظر ادريس وإلمامه بالظروف التي بويع فيها وطبيعة الأحداث التي تواجهه ، فهو لم يغتر بنصرة القوم له ، والحماس الذي أظهروه في بيعته ، وانما اعتمد في ولايته الحسبة وتوخى العدل وطلب الثواب من الله عز وجل ، ثم ألمع إلى خصومه وما يدبرونه له من المكائد ، فأنذر من يصغي لهم وينخدع بكلامهم أن مرادهم هو التسلط والقهر ، واشاعة الفتنة ، وأما الحق والعدل وحكم الشرع فإنهم بمعزل عنه ، ولا يقيمه إلا أهل البيت الذين ثاروا من أجله وأراقوا دماءهم الزكية في سبيله

فما أشبه هذه الخطبة في اختصارها وجمعها بخطبة أبي بكر الصديق التي خطب بها عند مبايعته وهي إن تكن من كلامه في هذه السن المبكرة فذلك منتهى النبوغ ، وان تكن مما خطب به بعد تقدمه في السن واستتباب الأمر له ، وانما المؤرخون هم الذين جعلوها خطبته الأولى فذلك منتهى التوفيق

وأظهر ادريس على مر الأيام مقدرة تامة على تسيير الأمور والنهوض بأعباء الملك، مستعينا بالرؤساء والأعيان من رجال القبائل وأنصار أبيه ، إلا من انحرف عنه ومال إلى دعاة العباسيين وولاتهم بافريقية فإنه كان يحذره وينزله منزلته ، وربما فتك به أخذا بالاحتياط وحسما لمادة الخلاف كما فعل بابن عبد الحميد الأوربي القائم بأمر أبيه لما أحس بانقلابه عليه ، وعد ذلك حزمه وصرامته

وكان ابراهيم بن الأغلب والي العباسيين على افريقية لا يفتأ يثير الفتن ويدبر المكائد للدولة المغربية الفتية ، فبعد قتله لراشد جعل وكده قتل ادريس أو تشتيت شمل القبائل المغربية ، المجتمعة عليه وهو القائل في شعر له

ألم ترني بالكيد أزديت راشدا
وإني بأخرى لابن ادريس راصدا
تناوله عزمي على بعد داره
بمحتومة يحظى بها من يكابد

وكان بهلول بن عبد الواحد المضغري من الرؤساء الذين استمالهم ابن الأغلب واستهواهم بالمال حتى بايع هارون الرشيد واعتزل ادريس في قومه مضغرة فداره ادريس حتى راجع طاعته وكان مما كتب به اليه هذه الأبيات :

أبهلول قد حملت نفسك خطة
تبدلت فيها ضلة برشاد
أضلك ابراهيم عن بعد داره
فأصبحت منقادا بغير قياد
كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب
وقدما رمى بالكيد كل البلاد

وفي الواقع المصاعب التي كان يخلقها ابن الأغلب لادريس بالتضريب بين رؤساء القبائل المغربية وإثارة الفتن الداخلية ، كبدته مشاق عظيمة ومجهودات كبيرة للمحافظة على الاستقرار ودوام الدولة ، ودلت من جهة أخرى على حصافته السياسية وقوة عزيمته ، على أن التفاف المغاربة حوله وصدق محبتهم له وتفانيهم في نصرته مما كان له أعظم الأثر في احباط دسائس ابن الأغلب وعدم نجاح مساعيه

وضبط ادريس أمر المغرب وعدل في الرعية وأحسن السياسة ، ووصل الوفود وعظم الرؤساء والأشياخ ، فأحبه الناس وتعلقت القلوب به ، وتوطد ملكه وقوي سلطانه وكثرت جيوشه وأتباعه ، وقصد حضرته الأكابر والأعيان من كل قبيل وكان من جملة من وفد عليه جموع من عرب افريقية والأندلس نحو خمسمائة فارس من قيس والأزد ومذحج ويحصب والصدف وغيرهم فسر بوفادتهم وأجزل صلتهم وأدنى منزلتهم ، فطعم بهم جهاز الدولة الذي كان في حاجة إلى مثل

هذه العناصر لتقويته واستكمال تعريبه ، فاستوزر منهم عمير بن مصعب الأزدي المعروف بالملجوم لضربة أصيب بها في بعض الحروب على خرطومه ، وهو جد بني الملجوم الذين كان لهم بفاس فيما بعد شهرة عظيمة بالعلم والدين ، واستقضى منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسي ، وكان من أهل الورع والفقه والدين ، سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا ومن هنا بدأ مذهب أهل الحجاز ينتشر في المغرب وفقه مالك بالخصوص ، لا سيما مع ماعُلِم من انتصاره للعلويين وميل هؤلاء إليه وكذلك استكتب ادريس من وفود العرب أبا الحسن عبد الله ابن مالك الخزرجي ، فتم له بذلك تجهيز الدولة بإطار عربي لا يقل كفاءة ومقدرة عن الذي يوجد في دولة الأغالبة بافريقية أو المروانية بالأندلس

وكان نزوع هذه الوفود العربية إلى ادريس عاملا قويا في دعم دولته وترجيح كفته على خصومه ، ودليلا قاطعا على استقرار حكم العلويين بالمغرب ، واستتاب أمره ، فلذلك مال ادريس اليهم وقدمهم لهذه المناصب السامية ، والمؤرخون يعدون ذلك منابذة للمغاربة أهل البلاد ، وافتياتا عليهم ، والأمر لايعدو أن يكون تدبيرا سياسيا يراد به صرف النظر إلى أول دولة علوية تنشأ في العالم الاسلامي بعد خلافة علي كرم الله وجهه ، ويعلو شأنها ويعظم سلطانها ، من غير أن ينكر أحد ما كان للمغاربة من فضل في قيام هذه الدولة

وحمايتها ، ولم يثبت عن ادريس أنه أبعد العنصر المغربي عن سياسة الدولة وتولي أعمالها ، وتوظيف بضعة أشخاص من العرب الوافدين عليه لايعني أبدا نفض يده من المغاربة الأصليين ، وانما هو في نظرنا استعانة بكفاءتهم على تعريب الجهاز الحكومي واعلان في الوقت نفسه عن الدولة الفتية التي قامت بدعوة العلويين واستحقت أن تلفت اليها الأنظار وهذا لم يحصل أي تمرد من المغاربة على هذه السياسة في أيام ادريس

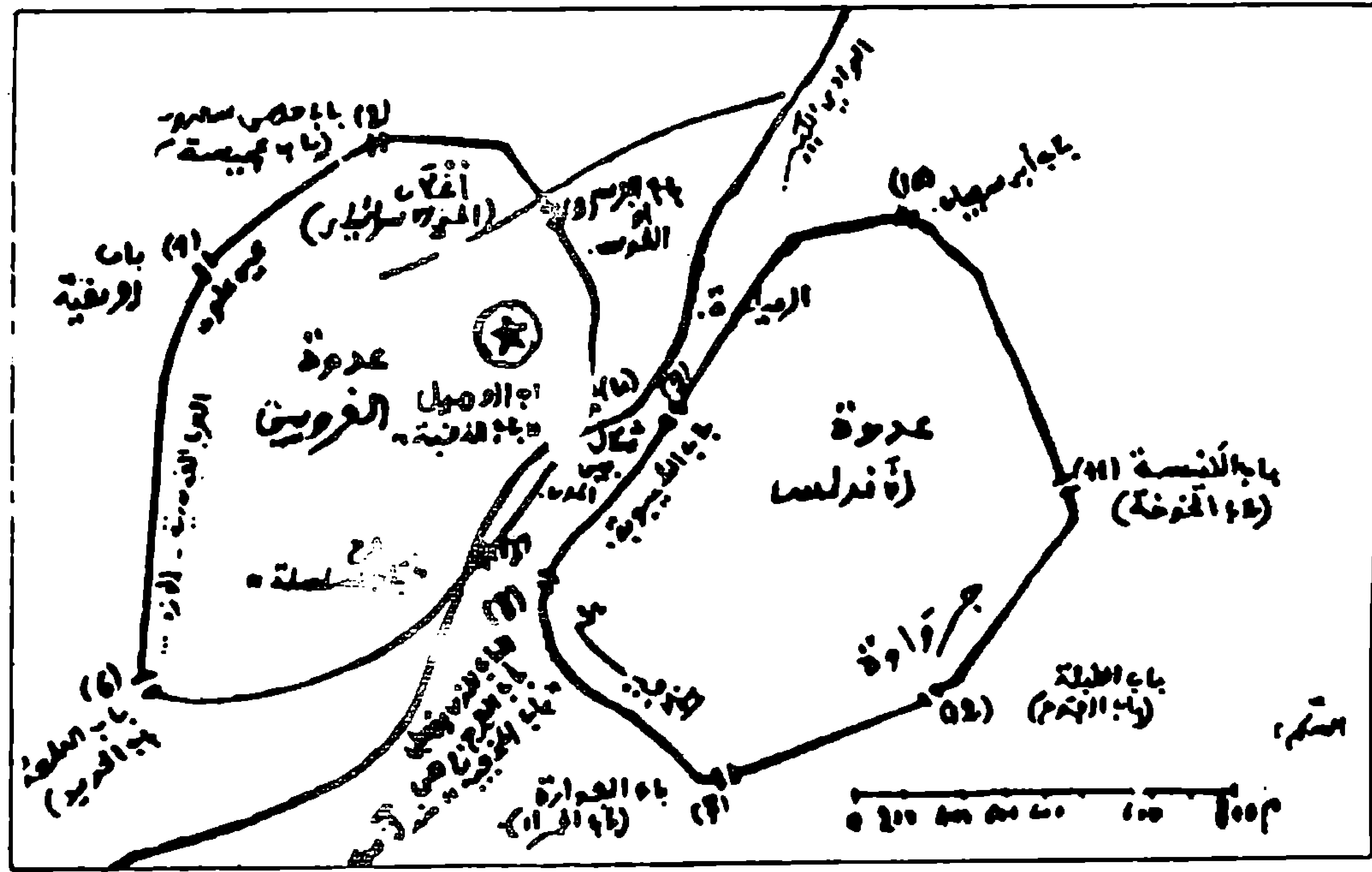
ولايصح قطعا أن يميل ادريس عن المغاربة الذين ناصروه وأيدوه وهم فوق ذلك أخواله وعشيرته الذين يجري دمهم في عروقه ، فهو في الحقيقة أول مغربي تبلورت فيه القومية العربية المغربية من وجهة النظر السلالية لامتزاج العنصرين فيه بالمصاهرة والولاء ، وهو لُحْمة كلُحْمةِ النَّسب ، كما في الحديث فمراد ادريس من هذا التطعيم هو أن يلتحم العنصران ، ويصيرا أسرة واحدة ، وهو ما كان بعد ذلك ، فلا تجد في المغرب بيتا لا يجري في عروق أبنائه الدم المغربي والعربي معا ، ولقد تعرب المغاربة دما وشعورا حتى ان أقوى قبائلهم وأعظم ملوكهم ليضعون لأنفسهم مُشَجَّرات تصل نسبهم بالأصول العربية ، أو بيت النبوة في بعض الأحيان ، وذلك إنما هو نتيجة سياسة ادريس هذه

وضاقت بادريس وجيوشه عاصمة أبيه وليلي ، ولم تعد ملائمة لتطور الدولة واتساع سلطانها ، ففكر في انشاء مدينة

جديدة يجعلها عاصمته وينتقل إليها بديوانه وجيشه ورجال حكومته ، فخرج في جماعة من حاشيته يرتاد البقاع ويتخير المواقع ، ولم يتوقف الى المكان الصالح لبناء هذه المدينة إلا بعد عدة تجارب أخفقت كلها وقيل ان الفضل في اختيار هذا المكان يرجع إلى وزيره عُمَيْر بن مُصْعَب الذي أرسله ادريس بعدما أعياه الأمر ، فذهب يقص الجهات ويرود الأماكن والتراب والمياه ، حتى وصل الى المكان المطلوب وهو غَيْضَة بين جبلين ملتفة الأشجار مطردة العيون في طرف بسيط سايس على مقربة من الوادي الذي سيعرف باسم المدينة فيما بعد

ورجع عمير الى ادريس فأعمله بالمكان الذي وقع عليه اختياره ، فرضيه ادريس ، وتملكه وما حوله بالشراء من أصحابه ، وشرع في بناء مدينته التي أطلق عليها اسم مدينة فاس في غرة ربيع الأول سنة 192 أي في نفس اليوم الذي بويع فيه قبل أربع سنوات وسميت فاسا بفأس كبيرة وجدت عند حفر أساسها ، وكانت بحيث تلفت الأنظار ، طولها أربعة أشبار وعرضها شبر ، وزنتها ستون رطلا فيما يقال ، فكثر التعجب منها ، وعرفت بها المدينة من يومئذ ، ويقال أنه كانت هناك مدينة قديمة خرجت قبل الاسلام تسمى ساف فسمى ادريس مدينته باسمها هذا بعد قلبه

وكان الذي اختط منها أولا هو عدوة الأندلس الواقعة على الضفة اليمنى لوادي فاس وبنى بها المسجد المعروف بجامع




عدوة الأندلس وعدوة القيروان بفاس

الأشياخ، ثم اختط عدوة القرويين على الضفة اليسرى للوادي، وبنى بها جامع الاشراف وداره التي عرفت بدار القيطون، والسوق وغيرها من المرافق، وسوغ للناس البناء وقال لهم من بنى موضعا أو اغترسه قبل أن تسور المدينة فهو له، فبنى الناس واغترسوا كثيرا

وهكذا نشأت مدينة فاس التي أصبحت منذ بنائها عاصمة المغرب وأهم مدنه ومن كبريات حواضر العالم الاسلامي ذات التاريخ المجيد في العلم والمدنية

ولما فرغ ادريس من بنائها وحضرت الجمعة الأولى خطب في الناس ورفع يديه في آخر الخطبة فقال: «اللهم انك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة، ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة، وإنما أردت أن تعبد بها ويتلى كتابك، وتقام حدودك وشرائع دينك، وسنة نبيك محمد ﷺ، ما بقيت الدنيا. اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه واكفهم مؤونة أعدائهم، وأدر عليهم الأرزاق، وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق إنك على كل شيء قدير»

وقد أثبت ادريس بهذا أنه رجل دولة من الطراز الأول، فهو سياسي بارع وإداري محنك، وصاحب سيف وقلم، يحب العمارة ويسعى في أسبابها من إقامة العدل ونشر الأمن وتعميم الرخاء، فلم يزده ذلك إلا شهرة وبعد صيت

ورفعة ذكر وتتابع وصول الوفود اليه من افريقية والأندلس وغيرهما راغبين في الاقامة عنده والعيش في كنفه وكان أكبر هذه الوفود هو وفد الأندلس من أهل ربض قرطبة الذين ثاروا على أميرها الحكم بن هشام الأموي فأجلاهم عنها ، وكانوا جما غفيرا زهاء أربعة آلاف بيت ، فلما وفدوا على ادريس رحب بهم وأنزلهم من مدينة فاس بالعدوة التي حملت اسمهم فعرفت بعدوة الأندلس ، كما عرفت العدوة الأخرى بعدوة القرويين لنزول الوفود القادمين عليه من مدينة القيروان بها وكانوا ثلاثمائة بيت

ومن وفد أهل القيروان كانت السيدة أم البنين الفهرية التي بنت جامع القرويين بمالها الحلال الذي ورثته من أبيها ، وذلك في مدة حفيد ادريس يحيى بن محمد سنة 245 فبارك الله في هذا المسجد حتى صار جامعة اسلامية عظيمة تشع بأنوار العلم والعرفان ، وهي اليوم أقدم جامعة في العالم كله

ولم تزل مدينة فاس تنمو وتعظم ، وكلما تقدم بها الزمن أثبتت أنها مدينة المغرب العربي الأول التي تحتضن حضارة الاسلام وعلمه وأدبه في أقاليم الغرب الاسلامي ، فهي الى كونها مركز اشعاع فكري وثقافي بسبب وجود جامعة القرويين فيها ، مدينة الفنون والصنائع وملتقى التجار ومختلف الأجناس من أهل المشرق وأوروبا والسوادين

والصحراء، يتبادلون المصالح ويقتنون منها أنفس البضائع والطرف

وهاك ما يقوله عبد الواحد المراكشي المؤرخ المعروف في وصفها وهو من أهل القرن السابع «ومدينة فاس هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا وموضع العلم منه، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة، إذ كانت قرطبة حاضرة الأندلس كما كانت القيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمر القيروان بعبث العرب فيها، واضطرب أمر قرطبة باختلاف بني أمية بعد موت ابن أبي عامر وابنه رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة، فنزل أكثرهم مدينة فاس، فهي اليوم على غاية الحضارة. وأهلها في غاية الكيس ونهاية الظرف. ولغتهم أفصح اللغات في ذلك الاقليم. ومازلت أسمع المشائخ يدعونها بغداد المغرب وبحق ما قالوا ذلك، فإنه ليس بالمغرب شيء من أنواع الظرف واللباقة في كل معنى إلا وهو منسوب إليها وموجود فيها ومأخوذ منها، لا يدفع هذا القول أحد من أهل المغرب وما أظن في الدنيا مدينة كمدينة فاس أكثر مرافق وأوسع معايش وأخصب جهات، وذلك أنها مدينة يحفها الماء والشجر من جميع جهاتها وتخلل الأنهار أكثر دورها زائدا على نحو من أربعين عينا ينغلق عليها أبوابها ويحيط بها سورها، وفي داخلها وتحت سورها نحو من ثلاثمائة طاحونة تطحن بالماء، ولا أعلم

بالمغرب مدينة لا تحتاج الى شيء يجلب اليها من غيرها إلا ما كان من العطر الهندي[1] سوى مدينة فاس هذه ، فإنها لا تحتاج الى مدينة في شيء مما تدعو اليه الضرورة ، بل هي توسع البلاد مرافق وتملؤها خيرا»

ويقول كاتب أوروبي هو روجي لوتورنو في كتابه (فاس في عصر المرينيين[2]) وهو العصر الذي استكملت فيه نموها وازدهارها :

«لم تكن فاس يومها عاصمة مملكة المرينيين المستقرة فحسب ، بل كانت مركزا مهما للتجارة تربطها المصالح التجارية بالأقطار الأوروبية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ، وبلاد الشرق العربي وبلاد السودان فيما وراء الصحراء الكبرى وكانت بالاضافة الى ذلك مدينة علم ودين ، حيث كان يتوفر عدد كبير من الطلاب على دراسة اللغة والعلوم الاسلامية ، وحيث كان الكتاب يبرزون في نظم الشعر وتدوين التاريخ والتأليف في الدين والشريعة ، وحيث كان يقوم المتصوفة الى جانب علماء السنة ، بالحفاظ على شعلة قوية للحياة الروحية ودليلنا على أن مدينة فاس لم تكن مدينة بازدهارها للمرينيين وحدهم ، هو ما كان عليه حالها في فترة الانحطاط الطويلة التي مرت بها دولتهم ، وحتى في أيام بني وطاس الضعفاء ، الذين خلفوا بني مرين ، والذين قدر لهم أن

(1) يعني العود الهندي المستعمل في البخور
(2) ترجمة الدكتور نقولا زيادة .

**يقتصر سلطانهم على الأجزاء الشمالية من المغرب فقط ، فإن مدينة فاس لم تهن ، بل انها لم تتوقف عن الازدهار والوصف الذي خلفه لنا مؤلفو القرن العاشر (السادس عشر) المتفاوتون فيما بينهم مثل ليون الافريقي (الحسن الوزان) ومارمول والأسقف كليناردوس يقدم لنا على ذلك الدليل الذي لا سبيل الى انكاره»**

هذه فاس التي وضع لبنتها الأولى ادريس الأزهر كما يلقب ، فرقا بينه وبين أبيه ، ادريس الأكبر وهذه قصة بنائها بما صاحبها من التفكير والتنفيذ ، حسبما رواها المؤرخون في شبه إجماع ، وتناقله الخلف عن السلف ، وجرى حتى على ألسنة العامة من سكان المدينة وأهل المغرب قاطبة ولكن المستشرق الفرنسي المعروف ليفي بروفنسال طلع علينا برأي غريب يقول ان مؤسس فاس وباني خطتها الأولى أعني عدوة الأندلس هو ادريس الأكبر ، وأن ابنه ادريس الأزهر إنما بنى الخطة الثانية وهي عدوة القرويين وكملت المدينة بذلك بعد نحو عشرين سنة من ابتداء بنائها في عهد أبيه ، والحجة الوحيدة التي يقدمها على ذلك هي وجود قطعتين من العملة مضروبتين بفاس تحملان تاريخا سابقا للتاريخ الذي تقول الرواية إن ادريس الأزهر بنى فيه المدينة القطعة الأولى درهم محفوظ بالمكتبة الوطنية في باريس وهو بتاريخ 189 أي قبل التاريخ المتواتر لبناء فاس بثلاث سنوات والثانية درهم

كذلك ، محفوظ بمتحف مدينة خاركوف وتاريخه 185 أي في حياة ادريس الأكبر وهذا الدليل الذي ينوه به ليفي بروفنسال لأنه دليل مادي كما يقول يمكن أن ينظر فيه باحتمال تزييفه أو وقوع الغلط فيه ، فإنه إذا كان الغلط في مثل هذه الأشياء يقع في عصرنا هذا ـــ وما قضية طابع البريد البريطاني المغلوط بعيدة عنا ـــ فأحرى في ذلك العصر البعيد لا سيما والمستشرق الكبير نفسه يذكر أن هناك قطعا أخرى من العملة ضربت في وليلي وتُدْغة باسم ادريس الأزهر وتحمل التواريخ المتتابعة لسنوات 181 و182 و183 أي في غير فاس التي ضربت فيها القطعتان السابقتان زعما ثم يشير الى أن ما يوجد من العملة المضروبة باسمه بعد تأسيسه لمدينة فاس هي أربعة دراهم ضربت في مدينة العالية[1] بتاريخ 204 و207 و208 و210 ذكرها لافوا Lavoix في كتابه عن العملة الاسلامية الموجودة بالمكتبة الوطنية في باريس وزاد قائلا أنه هو شخصيا يملك منها أربعة تحمل تواريخ 198،و206 و209 و214 واشتبه في هذا الأخير لأنه يحمل تاريخا متأخرا عن وفاة صاحبه بسنة ، إذ من المعلوم أن ادريس الأزهر توفي سنة 213

فبهذا الاشتباه ننظر نحن في القطعتين المزعومتين ولا نقبل أن ترد بهما أقوال المؤرخين المضبوطة المبنية على كثير من

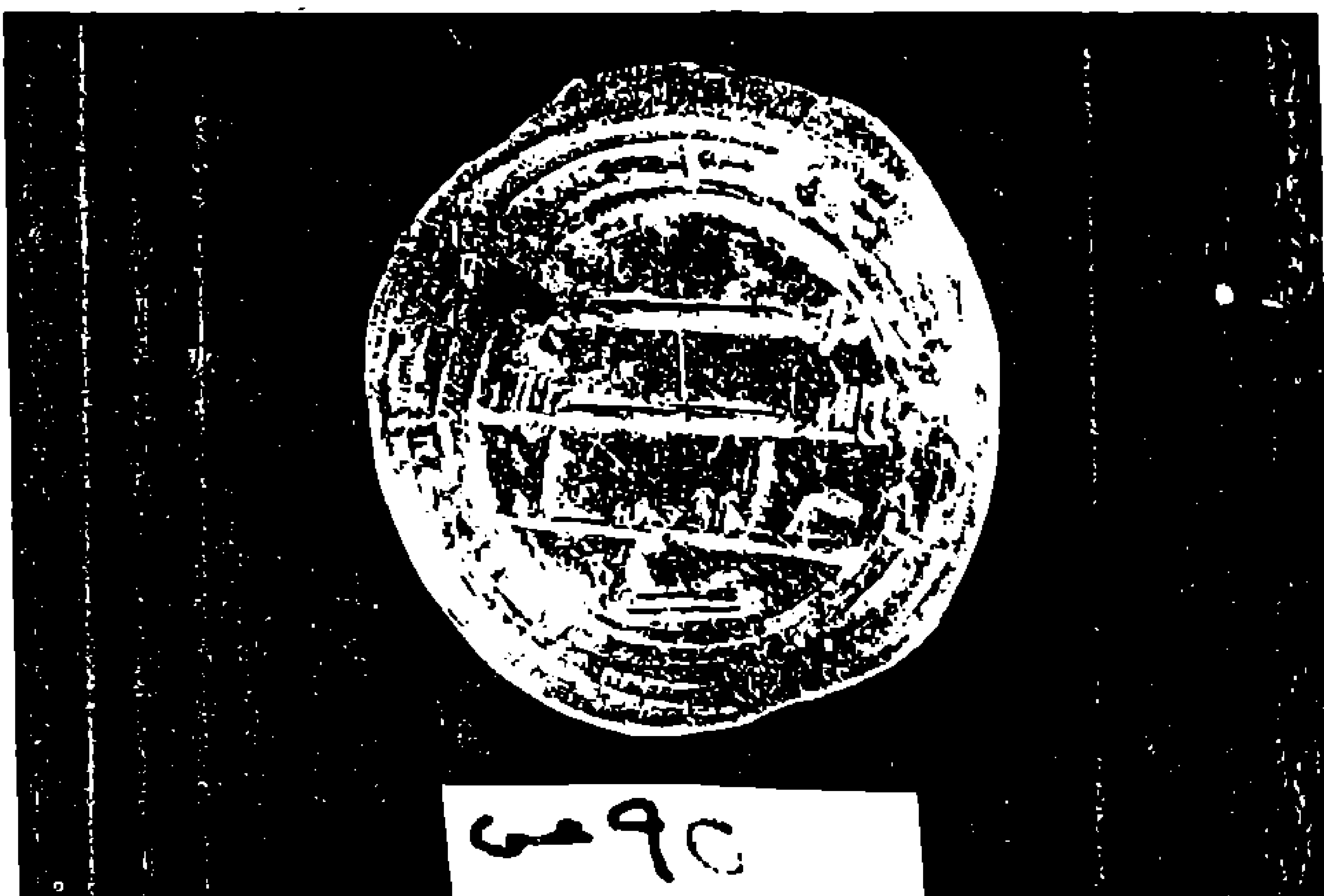
(1) يراد بالعالية عدوة الاندلس ، فقد كان يطلق على كل عدوة مدينة ولم تعرف كل منهما بالاندلس والقرويين الا بعد استيطان مهاجري الاندلس والقيروان فيهما .

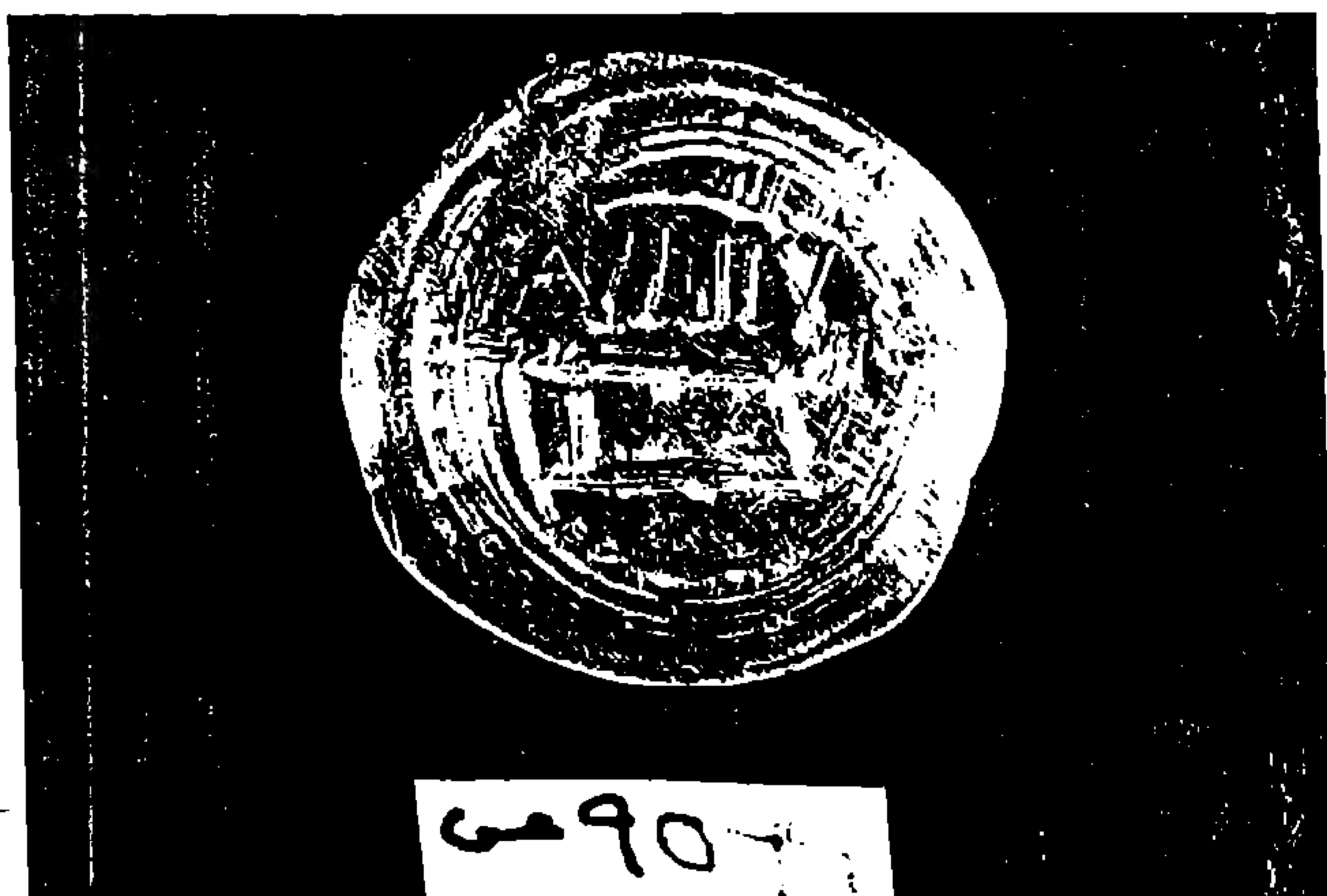
وإذن فابتداء ضرب الدراهم بفاس كان في أيام ادريس الأزهر ، بعد التاريخ المعروف لبنائها ، ثم هذه الدراهم في الأول انما كانت تحمل اسم العالية ، التي يراد بها عدوة الأندلس ، أي خطة ادريس الأكبر فيما ادعي أوْفاس الدرهمين اللذين جعلا دليلا ماديا على سبق بناء المدينة عن تاريخها عندنا ، فلو كان هذا صحيحا لاستمر ذكر اسم فاس في هذه الدراهم الجديدة

وأما الدراهم التي ضربت في وليلي وتُدْغة سنة 181 و182 و183 فهي حجة ناطقة بأن فاس لم يكن لها وجود في هذه التواريخ لا باسمها هذا ولا باسم جزئها الذي هو العالية ، وإلا لوقع الضرب فيها

بقيت بعض النقول التي استظهر بها صاحب هذا الرأي ، وهي عبارات وردت في تواريخ لم يكن وكدها ذكر فاس ولا التأريخ لها ، وانما جاءت عرضا في الكلام على دولة الأدارسة أو المغرب وأصحابها ليسوا من المغاربة ، وبعضهم كالبكري معروف بعدم تثبته فيما يتحدث به عن الأدارسة[1] فهي بهذه الصفة لا تقاوم النصوص التاريخية المفصلة التي كتبها المؤرخون المختصون من أهل البلاد ، وأهل مكة كما يقولون أدرى بشعابها

(1) بل بمعاداته لهم حتى انه يطعن في نسبهم





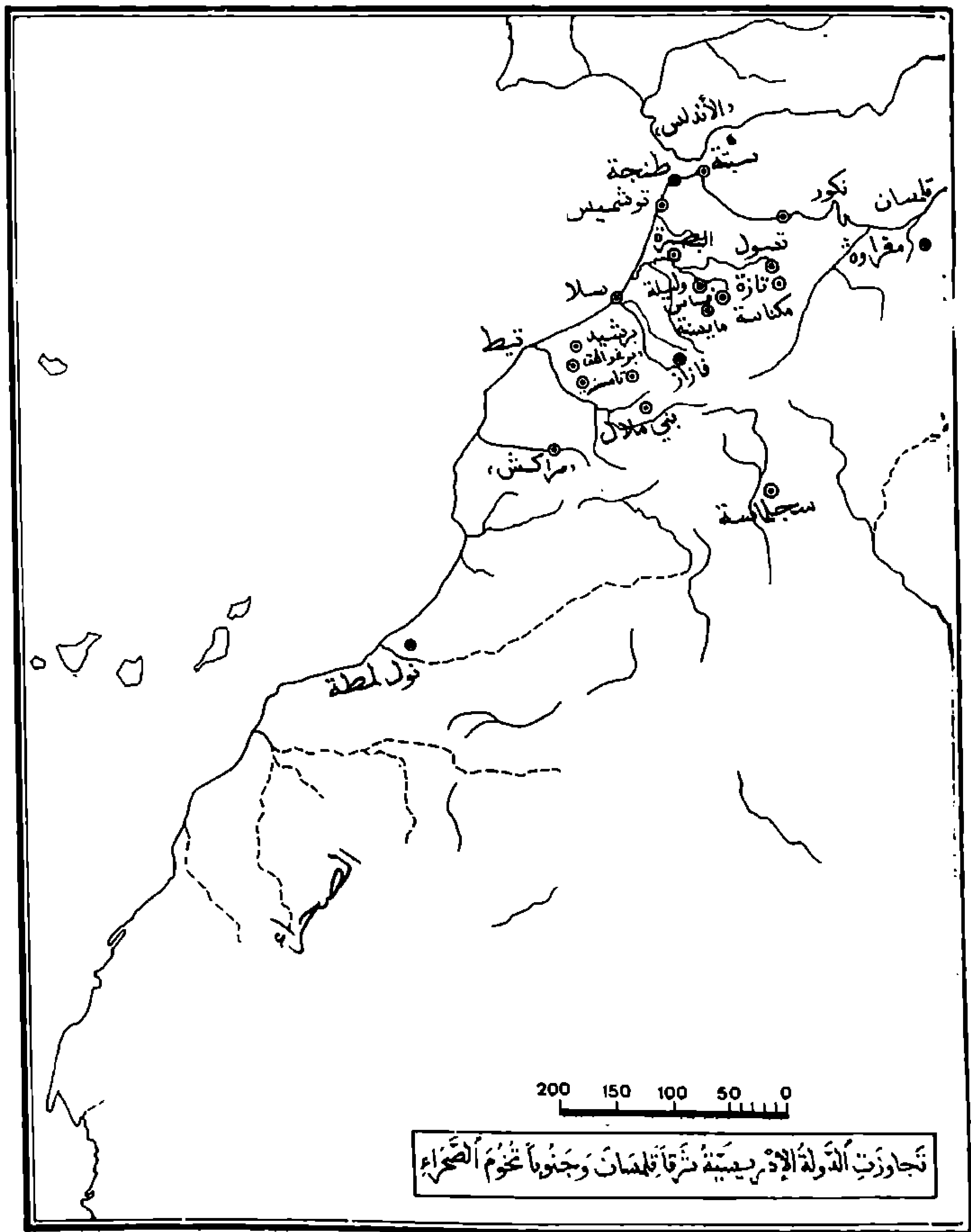
أقدم عملةٍ إدريسية هي التي ضربت في تدغة عام 172 = 789 وقد نقش على وجهها الأول كلمة لا إلاه إلا / الله وحده / لا شريك له / .. بتدغة سنة اثنتين وسبعين ومائة.
بينما نقش على وجهها الثاني كلمة محمد رسول / الله صلى الله / عليه وسلم.
على، مما أمر به إدريس بن عبد الله. جاء الحق إلخ...
توجد نسخةٌ واحدة من هذا الدرهم هي التي أثبتناها هنا شاكرين للمتحف العراقي في بغداد تفضله بهذا الرسم...

راجع كتاب الجامع في الدراهم الإدريسية
بقلم دانييل أوسطاش

هذا ولما استقر ادريس بعاصمته الجديدة هو وحاشيته وأرباب دولته أقام بها إلى سنة 197 ، فخرج غازيا بلاد المصامدة أعني إقليم سوس فانتهى اليها واستولى عليها ودخل مدينة نفيس ومدينة أغمات وعاد الى فاس فأقام بها إلى سنة 199 فخرج في المحرم منها برسم غزو قبائل نَفْزَة من أهل المغرب الأوسط ومن بقي هناك على مذهب الخوارج فسار حتى غلب عليهم ودخل مدينة تلمسان فأقام بها يدبر أمرها وأمر ما إليها من الأعمال ثلاث سنوات ، ثم رجع الى فاس فلم يخرج منها حتى توفي وقد انتظم له ملك المغرب الأقصى والأوسط من وادي سوس الى وادي شلف ، وقطع منه دعوة العباسيين كما فعل عبد الرحمن الداخل في الأندلس ، وأهم من ذلك أنه وحد كلمته واستأصل شأفة الكفر والزندقة والخروج من بين المغاربة ، فأتم عمل والده في ذلك واستحق مثله الوصف بالامامة ، ثم زاد على ذلك أنه قعَّد حاضرة فاس ووطد أركان الدولة واشرك العنصر العربي في تدبير الشؤون وإدارة دفة الحكم ، فكان لذلك أحسن الأثر في إكمال تعريب المغرب وإلحاقه بالركب الحضاري العربي الاسلامي الذي كان يتعثر في طريق اللحاق به

وفي ثاني جمادى الآخرة سنة 213 توفي رحمه الله بحبة عنب وعمره نحو ست وثلاثين سنة ، ودفن بمسجده بازاء الحائط الشرقي منه قاله ابن خلدون

ومن محاسن ما يروى من جهاده وشجاعته ما حكاه داود بن القاسم بن جعفر الأوربي قال «شهدت مع ادريس




تجاوزت الدولة الإدريسية شرقاً تلمسان وجنوباً تخوم الصحراء

بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا فلما تراءى الجمعان نزل ادريس فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى، ثم ركب فرسه وتقدم للقتال، فقاتلناهم قتالا شديدا، فكان ادريس يضرب في هذا الجانب مرة، ثم يكر في الجانب الثاني، فلم يزل كذلك حتى ارتفع النهار، فرجع الى رايته، فوقف بازائها والناس يقاتلون بين يديه، فطفقت أنظر اليه وأديم الالتفات نحوه وهو تحت البنود يحرض الناس ويشجعهم، فأعجبني ما رأيته من شجاعته وقوة بأسه فالتفت نحوي وقال ياداود مالي أراك تديم النظر الي قلت أيها الامام انه أعجبني منك خصال لم أرها في غيرك قال وما هي قلت أولها ما أراه من حسنك وجمالك وثبات قلبك وطلاقة وجهك، وما خصصت به من البشر عند لقاء عدوك قال ذلك بركة جدنا ﷺ ودعاؤه لنا وصلاته علينا، وإراثة عن أبينا علي بن أبي طالب

قلت أيها الامام أراك تبصق بصاقا مجتمعا وأنا أطلب قليل الريق في فمي فلا أجده قال ياداود ذلك لاجتماع عقلي ورباطة جأشي عند الحرب، وذهاب عقلك وعدم الريق من فيك لطيش لبك وافتراق فكرك ولما خامرك من الرعب قال داود وأنا أتعجب أيضا من كثرة تقلبك في سرجك وقلة قرارك في موضعك قال ذلك مني زعم

للقتال وعزم وصرمة ، وهو أحسن في الحرب فلا تظنه رُعْبًا»

وأنشأ يقول

أليس أبونا هاشم شَدَّ أزْرَهُ
وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا نشتكي مما يؤول الى النصب

# نبذة عن حياة المؤلفين

## الأستاذ المرحوم علال الفاسي

ينتمي الأستاذ علال الفاسي إلى أسرة بني الجد الفهرية إحدى الأسر الاشبيلية النبيهة التي أنجبت بالمغرب والأندلس عددا كبيرا من العلماء والصلحاء والقادة، وبفاس ولد الأستاذ علال سنة 1908 (1326 هـ) فترعرع في وسط علمي بادي النبوغ ظاهره التفوق، وبعدما حذق القرآن انتسب إلى جامعة القرويين وقد حفظ عددا من المتون في العلوم الدينية واللغوية فغبر في وجوه أقرانه تساعده على السبق ذاكرة قوية ولسان ذلق وفكر وقاد، فالتفتت إليه الأنظار على صغر سنه وأصبح محل تقدير الرجال والنساء واحترام الكبار والصغار، بما كان يعلم ويحاضر وكتب في الصحف معبرا عم مطامح الشعب المغربي، واشتهر بنبوغه المبكر في الشعر الذي كان يصوغه في الأغراض الوطنية غالبا فلقب بشاعر الشباب وطار شعره في بلاد المغرب العربي كل مطار، ولما خرجت الحركة الوطنية من طور العواطف إلى طور التنظيم كان أحد مؤسسي (كتلة العمل الوطني) وأقطابها البارزين، واعتقل للمرة الأولى سنة 1930 عندما تظاهر أهل فاس مظاهرات صاخبة ضد صدور الظهير البربري، ومنذ ذلك التاريخ صب عليه الاستعماريون الفرنسيون سوط اضطهادهم ! ولكن أذاهم كان لا يزيده إلا إيمانا، وبقدر ما كان المستعمر يمتحنه ويضايقه كانت القلوب تزداد ميلا إليه ومحبة فيه كما كان صيته يبعد شيئا فشيئا حتى طبقت شهرته العالم الاسلامي قاطبة وصار من زعماء الحرية المرموقين ! وفي سنة 1937 نفاه الفرنسيون إلى الكابون فأقام في منفاه بإفريقيا الاستوائية تسعة أعوام، ولما أرجع إلى المغرب سنة 1946 واصل جهاده على رأس حزب الاستقلال في تعاون مع جلالة الملك المرحوم محمد

الخامس وإخلاص صادق له، وسافر إلى الخارج بعد قليل فأسس مع قادة الحركات الوطنية بشمال إفريقيا مكتب المغرب العربي بالقاهرة، وتجول في مختلف القارات وحضر العديد من المؤتمرات، وساهم في كثير من الندوات داعيا لقضية وطنه ومعرفا بنضاله ومعززا جهود ملكه وشعبه في سبيل تحرر المغرب واستقلاله، ولما نفى الفرنسيون الملك المرحوم محمد الخامس وأسرته كان له قدم راسخ وباع طويل في الدفاع عن العرش وفضح مكايد المستعمرين ! ونظم من القاهرة حركة المقاومة وجيش التحرير التي أقضت مضجع المستعمرين وأفضت إلى عودة السلطان المنفي إلى عرشه واستعادة المغرب لحريته وسيادته.

ومنذ استرجاع الاستقلال ساهم في كثير من الأعمال والحركات التي يراد بها دعم المكاسب الوطنية، كما أقبل على الدعوة للمبادىء التي يعمل لها والسعي لبلوغ الغايات التي يبغي الوصول إليها. والأستاذ علال الفاسي مفخرة من مفاخر المغرب خطيب مفوه وشاعر رقيق وكاتب بليغ وله مؤلفات عديدة دل بها على عمق تفكيره وبعد نظره ونزوعه إلى التجديد والاصلاح وتقدير القيم الانسانية السامية ومن حسناته تأسيس الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي

توفي ببوخارست عاصمة رومانيا عشية يوم الاثنين 13 ماي 1974 (20 ربيع الثاني 1394 هـ) وهو يحادث بقصر الرئاسة مع الرئيس تشاوسيسكو في القضايا التي تهم العالم الاسلامي كقضية فلسطين وقضية الصحراء المغربية المحتلة ! ونقل يوم الثلاثاء إلى الرباط حيث دفن بها عشية يوم الأربعاء بعد الصلاة عليه بجامع السنة.

## الدكتور عبد الهادي التازي

ولد بمدينة فاس في 25 يونيه 1921 نال شهادة العالمية من جامعة القرويين سنة 1947 وعين مدرسا بها احرز على دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب جامعة محمد الخامس ودكتوراه في الآداب من جامعة الاسكندرية. عضو المجمع العلمي ببغداد وعضو أكاديمية المملكة المغربية

شغل عدة مناصب دبلوماسية من بينها سفير المغرب في ليبيا وبغداد وايران، يعمل حاليا مديرا للمعهد الجامعي للبحث العلمي.

نشر عدة بحوث ومؤلفات حول تاريخ المغرب الدبلوماسي، سبق للجمعية المغربية للتضامن الاسلامي أن أصدرت له كتابا بعنوان في ظلال العقيدة.

## الأستاذ محمد المنوني

من مواليد مدينة مكناس سنة 1919 احرز على عالمية جامعة القرويين سنة 1943. اشتغل بالتدريس، ثم بقسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط، والمكتبة الحسنية بالقصر الملكي. يعمل حاليا استاذا لمادة التاريخ بكلية الآداب جامعة محمد الخامس. صدرت له عدة مؤلفات في التاريخ والحضارة المغربية، كما نشر العديد من الأبحاث والدراسات بالمجلات المغربية والعربية.

# الأستاذ عبد الله كنون

من مواليد مدينة فاس عام 1326 هـ 1908 م. مارس عدة وظائف، واظطلع بعدة مهام، أهمها تدريسه بالمعهد العالي بتطوان. وإدارته لمعهد مولاي الحسن للأبحاث بنفس المدينة، وتوليه في المنطقة الخليفية لمنصب وزير العدل، وتعيينه في أوائل الاستقلال عاملا على إقليم طنجة، وعضويته بأكاديمية المملكة المغربية وفي عدة مجامع لغوية وعلمية ومجالس دينية. رئيس تحرير مجلة «الاحياء» وصحيفة «الميثاق» لسان رابطة علماء المغرب.

أمين عام رابطة علماء بالمغرب ورئيس المجلس العلمي لاقليم طنجة. حاصل على عدة أوسمة وطنية ودولية وله ما يربو على مائة مؤلف من أشهرها «النبوع المغربي في الأدب العربي» ينشر العديد من المقالات والأبحاث في المجلات المغربية والعربية.

أصدرت له الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي كتاب (حب الرسول للنساء) ضمن مطبوعاتها .

## من مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي
## صدرت الكتب التالية :

| | |
|---|---|
| • بديل البديل | : علال الفاسي |
| • مهمة علماء الاسلام | : علال الفاسي |
| • الاقتصاد الاسلامي | : علال الفاسي |
| • دفاعا عن الأصالة | : علال الفاسي |
| • الاسلام وتحديات العصر | : علال الفاسي |
| • لمحات في النظام الاقتصادي الاسلامي | : الرحالي الفاروقي |
| • حب النبي لنسائه | : عبد الله كنون |
| • العلم ورسالة الاسلام | : محمد الفاسي |
| • عقيدة المستقبل | : المهدي بن عبود |
| • العلم والمعرفة بين الضرورة والهدف | : المهدي بن عبود |
| • وحدة المغرب المذهبية | : عباس الجراري |
| • الفكر الاسلامي والاختيار الصعب | : عباس الجراري |
| • في ظلال العقيدة | : عبد الهادي التازي |
| • المسلمون واشكالية الوحدة | : محمد الكتاني |
| • اللغة والتراث والحضارة | : عبد الرحيم بن سلامة |
| • النظام المالي في الاسلام | : عبد الرحيم بن سلامة |
| • الاسلام بين دعاته وادعيائه | : رشدي فكار |
| • بين العقيدة والاختيار | : عائشة عبد الرحمن |
| • الصيام في الاسلام والشرائع الأخرى | : علي عبد الواحد وافي |
| • تاريخ المدينة المنورة | : عبد القدوس الانصاري |
| • نحو اقتصاد اسلامي موجه | : ممدوح حقي |
| • مصير التيارات العقائدية وضرورة الاختيار | : عبد الغني الدلي |
| • المخطط الشيوعي في العالم الاسلامي | : إبراهيم اباظة |
| • الاقتصاد الاسلامي | : إبراهيم اباظة |
| • نظام المصارف الاسلامية | : إبراهيم اباظة |
| • الأصالة والتنمية | : إبراهيم اباظة |
| • جدل حول التقدم | : إبراهيم اباظة |
| • زبير والحزام الأحمر | : إبراهيم اباظة |
| • البنوك الاسلامية بين النظرية والتطبيق | : إبراهيم اباظة |
| • أدب الفتوى للسيوطي | : تحقيق فاروق حمادة |
| • لماذا التضامن الاسلامي | : دراسة من إعداد الجمعية |
| • مجلة التضامن | : مجلة شهرية تصدرها الجمعية |

---

العنوان : صندوق البريد 351 : الرباط : المملكة المغربية .